17 em Année No. 848

Lundi — 3 — 10 — 1949

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire
Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ في مصر والسودان
١٥٠ في سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد «٨٤٨» القاهرة في يوم الاثنين ١١ ذو الحجة سنة ١٣٦٨ — ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

من المسؤول عن اللاجئين ؟

للأستاذ نقولا الحداد

قضى مليون لاجئ عربي مشرّدين عن منازلهم وأملاكهم إلى الآن نحو عام وهم يعانون زمهرير الشتاء وقيظ الصيف فضلا عن الأمراض والأوبئة ثم الموت بالجملة ، فهل يقضون أيضاً عاماً آخر ؟ !

واللجان الموفدة من قِبل مجلس الأمن وهيئة الأمم العربية تدرس وتباحث وتناقش ... وإلى الآن لم تصل إلى نتيجة حاسمة ولا نظنها تصل ! !

واليهود بسرهم كل هـذا ... وهم في بيوت العرب آمنون مستريحون يستغلون أملاك العرب ... وتستمر الحال على هذا المنوال إلى أن يملّ العرب ، وثم لا يبقى أمام اللاجئين إلا أمر واحد ... هو الانتحار ! !

فمن المسؤول عن هذه الكارثة ؟ !

المسئول الأول هو انكلترا ، لأنها هي سبب هذه الكارثة أولا وآخراً ... فهي الملزمة أن تفتح السبيل لعودة العرب الفلسطينيين إلى بيوتهم وأملاكهم وأرزاقهم ، وأن تجعل هـذا السبيل مأموناً من غدر هؤلاء اليهود الجوييم وهمجيتهم ، وحمايتهم مدة إقامتهم في ديارهم ... وهذا يستلزم أولا أن تجرد اليهود من أسلحتهم تجريداً مطلقاً ولا تعترض على تسلح العرب .

ثم على انكلترا أن تعوّض العرب من خسائرهم الجسيمة التي خسروها في مدة التشريد ...

ومن يقرأ هذين القولين يقل لك إنك تطلب المستحيل ، لأن انكلترا التي دللت اليهود منذ إعلان وعد بلفور ، وسكتت على تعديات اليهود المتعددة على الإنكليز — كما هو معلوم — لا يمكن أن تتحمل هذه المسؤولية ، وإن كانت حقاً صارخاً ، لأنها ، أي انكلترا ، خاضعة لنفوذ اليهود في بلادها ، وهناك خمسة في المئة من أعضاء البرلمان يهود ، وخمسة وزراء يهود ، وهؤلاء زاكبون على خناق انكلترا وكاتمو أنفاسها ، لا نعلم بأي سحر تخضع لهم وهم يقهرونها !

هذا هو الواقع !

بقي أننا إلى الآن لم نفهم كيف أن الدولة التي لا تغيب الشمس عن أملاكها (أو كانت هكذا) تخنع هـذا الخنوع لزمرة من صعاليك الأمم !

وعلى أي حال يجب على بريطانيا العظمى أن تمسح هذا العار عن جبينها بأن تدرأ بأس اللاجئين تدبيراً يوافق عليه العرب جميعاً ، وإلا فتاريخ انكلترا أسود بالقلم العريض حاضراً ومستقبلا ... !

ولكن ... هل يا ترى يكترث الإنكليز لسمعتهم وتاريخهم؟

هنا نقف ونسأل وننتظر ... وإلى متى ننتظر ؟ !

يلي انكلترا في المسؤولية أمريكا الانجلوسكسونية . فعليها أ كثر من خمسين في المئة فيها ، ولكن أمريكا لا تتبجح بشرفها ،

ولا تحترم سمعتها ، ولا تكترث لتاريخها ، مادامت تلعب بالدولار .
ولعل اليهود هناك يعتقدون أنهم هم الذين سكّوا الدولار المدنى وطبعوا الدولار الورقى . فهم يوسخون وعلى الشعب الأمريكى أن ينظف !

انكلترا وأمريكا مسؤولتان فى الدرجة الأولى ، ويهود العالم كله مسؤولون فى الدرجة الثانية ، فهم مسؤولون لأن يهود الصهيونية هم الذين نهبوا وفظّموا وقتلوا وشرّدوا العرب ، ولأنهم كانوا يموّنون هؤلاء المجرمين بملايين الدولارات . ولكن من يرغم هؤلاء اليهود على التعويض وعلى العرب وعلى قبولهم رغم أنوفهم فى بلادهم ؟

قالوا : إن مجلس الأمن المسؤول عن الأمن العالمى هو الذى يرغم اليهود على التعويض وعلى القبول — قبول العرب .

ولكن المصيبة الأخيرة جاءت عن يد مجلس الأمن ، فإذا كانت انكلترا — وهي المسلّحة — تجثو أمام سحر اليهود ، فمجلس الأمن — وهو بلا سلاح البتة — لا يستطيع أن يهز رمحاً فى وجه الصهيونيين ، فهو كالدجاجة ، وهى بلا براثن ولا أنياب أمام السباع والذئاب ... فإذاً ، انكلترا أولا ، ثم أمريكا الانجلوسكسونية ثانياً — هؤلاء هم المسؤولون عن نكبة عرب فلسطين أمام الله ، وأمام التاريخ ، وأمام العالم ... ولكن إذا كانوا لا يخافون الله ، ولا يحترمون التاريخ ، والعالم كله مثلهم لا يخاف الله ولا يبالى بالتاريخ ... فلمن نشكو أمرنا ؟ !

لا نشكو أمرنا إلا للعرب أنفسهم ، فإن كانت عندهم بقية من مروءة العرب التى طالما تبجحنا بها فالنجدة يا قوم ... وإلا فليقرأ كل عربى — من الوزير إلى الصغير — ما لقنه أحمد الشقيرى بك مستشار الوفد السورى أمام لجنة التوفيق الدولية بعد عودته من لوزان لمندوب جريدة المصرى فى يوم ١٦ سبتمبر ، لكى يعلم مابيتيه اليهود للعرب جميعاً من الشر . فلعلهم يتحمسون للدفاع عن أنفسهم قبل أن يحدث لهم ما حدث لعرب فلسطين ، ويتشردوا فى الصحارى والبحار فيموتون ظمأً ثم غرقاً ... وكل آت قريب ...

نقولا الحداد
٢ ش البورصة الجديدة بالقاهرة

منارة الماضى :

على طريق الحملات المصرية فى لبنـــــان

أيام دولة سلاطين المماليك البحرية

للأستـــاذ أحمد رمزى بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضى)

ثلاثة من سلاطين مصر العظام يبدو عملهم خالداً أمام الزمن فى هذه البقعة من الأرض : الملك الظاهر بيبرس صاحب الفتوحات الكبرى ، ثم المنصور قلاوون الذى حاصر مدينة طرابلس ستة وعشرين يوماً ثم فتحها بالسيف ، وأخيراً الأشرف خليل بن قلاوون صاحب الفتح الأشرف من الممالك الساحلية والجبلية وهو الذى بقى لمدة قرون والناس يُؤرّخون فى لبنان الحوادث على ذكره وتأتى هذه الحملات فى عهد الناصر محمد تكملة لتلك الفتوحات .

ولكن الباحث فى تاريخها يسير دائماً فى المراجع التى بين أيدينا وهو يتلمس الأسماء والمواقع وسط الصعاب التى يُقيمها المعاصرون والمؤرخون والنساخ . فهناك طائفة من أسماء البلاد والمقاطعات تغيرت مواضعها مع الزّمن أو تعدّلت حدودها ، ومع اعتمادى على الخرائط التفصيلية التى وضعتها القيادة الفرنسية مدة عهد الانتداب ، ومع أننى زُرت أغلب المناطق لمدة مرّات أرانى أحياناً وسط بحر واسع الأطراف فى المسائل التى تحتاج إلى تحقيق ، أرانى أخوض فأوفق فى بعض الشيء ولا أوفق فى البعض الآخر فأتركه ليتمكن غيرى من تحقيقه .

ويحصل الخطأ فى النقل من النسخ التى بين أيدينا ، أو فى عدم اعتناء المؤرخين عند كلامهم على الحوادث فيطلقون أسماء عامة مثل جبال الجرد والكسروان من غير تحديد .

فقد جاء ذكر بعض الحملات فى الجزء الشمالى الجبلى الواقع بين الممالك الساحلية والممالك البعلبكية : والمعروف أن كسروان هو

الاقليم الجبلى الذى تقع فيه مدينة «بسكنتا» وهى التى كانت تسمى قديماً باسم «العاصية» لصعوبة مسالكها والمرور إليها من وادى الجاجم. ومع أنها قسمان فى التقسيم القديم داخلة وخارجة. فالداخلة حدها من نهر الكلب إلى نهر إبراهيم، والخارجة حدها القديم من نهر الكلب إلى الحد الفاصل بينها وبين مقاطعة المتن: وتمتد الحدود من البحر إلى الجبال: ومع علمنا بهذا التحديد يطلق المؤرخون اسم كسروان تساهلاً منهم على بقاع تقع فى الجزء الشمالى من هذه البقعة بالذات: ويتكرر هذا فى معظم من كتب بعد حوادث الفتوحات التى تمت فى عصر الملوك الثلاثة.

ولكن المدقق يجد أن الحوادث التى كانت مدينتا «أهدن» «وبشرى» مسرحاً لها تقع فى مقاطعة كانت تسمى باسم «جبة بشرى» فى هذا العهد ثم أصبحت «جبة الحدث» فى عهد قايتباى: وفى هذه الناحية بالذات مقاطعة كانت تسمى الضنية وهى ترد فى كتب المؤرخين باسم جبال الظنيين: ولقد اعتمدت فى تحقيق هذا الاسم على مصدرين:

الأول: هو ما ورد فى وثيقة المدنة التى عقدها الملك المنصور قلاوون صاحب مصر مع جماعة الاسبتار وبيت طرابلس (٦٨٦هـ ١٢٨٠م[1]).

الثانى: ما جاء فى كتاب الشيخ طنوس بن يوسف الشدياق[2]

جاء فى عقد المدنة ذكر بلاد السلطان الملك المنصور: «ما هو مجاور لطرابلس وعادد لها من المملكة البعلبكية جميعها وجبالها وقُراها الرحلية[3] والجبلية وجبال الضنيين»

وجاء فى المرجع الثانى: «لما قدمت الفرنج من إنطاكية سنة ١٠٩٩، وفد إليهم أناس من الردة من جبل سير وصقع الضنية» فجبال الضنيين هى إقليم أو صقع الضنية الذى أشرنا إليه والواقع فى الجزء الشمالى من إقليم جبة بشرى وهذا الإقليم ينحدر من أرز لبنان إلى سير ثم إلى طرابلس.

ومن هذا نعلم أن ذكر «أهدن» و«بشرى» فى إحدى الحملات لا يجعل لكسروان شأناً وبينها وهذه البلاد مناطق: أو قطاعات كانت تسمى باسم بلاد واقعة على الساحل أو فى الجبال كما يتضح ذلك من وثيقة المدنة نفسها.

فقد جاء فيها عند الكلام على بلاد الفرنجة أى الأبرنس صاحب طرابلس ما يأتى:

طرابلس وما هو داخل بها ومحسوب عليها. أنفة وبلادها. جبيل وبلادها. صنم جبيل وبلادها (وأرجح أم جبيل). البترون وبلادها (وكلها على الساحل) وضع هذا النص عن قصد — ثم عرقاً وعدتها ٥١ ناحية.

وما هو للفارس روجار دى لالاولاى من قبلى طرابلس.

أقول إننا إذن فى حاجة ماسة إلى جمع نصوص الوثائق المملوكية من عقود المدنة والصلح الموزعة فى الكتب وتحقيق كلماتها حتى تراجع مراجعة صحيحة لكى نستفيد من محتوياتها: هذا علاوة على المراسيم الخاصة بولاية العهد أو الصادرة بتولية الأمراء أو بالإقطاعات: ومن بعض هذه الوثائق يتضح مدى اتساع الأمبراطورية الإسلامية لمصر فى أزهى عصورها بلا استثناء وقد جاء فى نهاية عقد هدنة المنصور قلاوون «وما سيفتحه الله على يده ويد ولده وعساكرهما وجنودهما من الممالك والحصون».

وقد تمت الفتوحات جميعاً حتى ذكر ابن الفرات «ولم يتأخر بالبلاد الشامية غير فلاحيها وهم داخلون فى الذمة».

وأرجح أن الجزء الجنوبى من لبنان حيث كان يسكن أمراء الغرب من آل بحتر التنوخيين لم يتعرض لهذه الحملات ما عدا الجرد الشمالى، إذ المعروف أنهم كانوا حلفاء وأعواناً لملوك مصر[1] ابتداء من الدولة التركية المز إيبك، إذ جاء فى كتاب صالح بن يحيى ذكر منشور المز إيبك للأمير سعد الدين خضر، وجاء فيه أن الأمير زين الدين بن على وفد على السلطان قطز واشترك محارباً فى معركة عين جالوت لما قهر المصريون التتار، وجاء فيه ذكر عدة مراسيم أرسلها الظاهر بيبرس إلى الأمراء وقال عنهم «الأمراء الثاغرون على صيدا وبيروت» وكذلك ما صدر من ابنه الملك السعيد بركة خان، ولم تكن صيداً وبيروت بيد المصريين فى ذلك الوقت. ويبدو مؤرخو الحروب الصليبية فى حيرة من موقف بعض الأمراء.

فالأب لويس شيخو يستخلص من حادثة معينة أن بعض الأمراء كان حليفاً للصليبيين فيقول إن أحد أعداء الأمراء المسمى

(١) ملحق ٦ للسلوك طبع الدكتور زيادة.
(٢) طبع المعلم بطرس البستانى.
(٣) قولة الرحلية لا يفهم وإنما أرجح الزحلية: أى قرى بلدة زحلة.

(١) هكذا تتكلم الوثائق وإن كان التاريخ يعيد هذه العلائق إلى الأيوبيين وقد تكون من عهد الفاطميين.

التنوخيه يأمرهم بحشد الجيوش لمحاربة كسروان وأهل الجبال جاء فيه « من نهب امرأة كانت له جارية أو صبياً كان له غلاماً ومن أتى منهم برأس مقتول كان له دينار لأن المذكورين كانوا نجدة الأفرنج » .

ويقول المطران الدبس نقلا عن الأسقف جبرائيل ابن القلاعى أن المركة دارت عند جبيل وأن المقدمين الذين نزلوا من الجبال كانوا ثلاثين مقدماً منهم خالد مقدم مشمش . سنان وسليمان مقدما إيليج . سعادة وسركيس مقدماً لحفد . عنتر مقدم الماقورة . بنيامين مقدم جردين . ويقول إنهم رتبوا ألفين مقاتلا كنوا على الفيدار وألفين على نهر الدفون .

ومن مراجعة وثيقة هدنة المنصور قلاوون يتبين لنا أن هذه البلاد واقعة خارج الجرد وكسروان بل هى داخل القطاع الواقع بين قطاع البترون وقطاع كسروان أو هى تكون ما أسميه قطاع جبيل الواقع بين موقع فيدار وبلدة البترون وتتوسطه مدينة جبيل ، ويرتفع إلى بلدة الماقورة فى الجبال وبلدة تنورين أمامها وكانت ضمن أملاك صاحب طرابلس ولما زال حكم الصليبيين أصبح فتح هذه البلاد هيناً على المصريين ويقول صاحب تاريخ الأعيان بدون أن يذكر المصدر الذى استق منه « حينئذ اندفقت سكان الجبال على جيوش الإسلام اندفاق الماء المنهمر » « واقتحم مقدم مشمش على قائد جيش الإسلام واحتز رأسه » « ووقعت الكرة على جيوش الإسلام وتمزقت منهم الكتايب والأعلام » .

ويصف ملاحقة الجبليين أمراء الغرب إلى عقر ديارهم وكيف قتل الأمير محمد وأخوه الأمير أحمد من أبناء محمد بن كرامة التنوخى وكيف أن المنتصرين زحفوا حتى أحرقوا بلاد عين صوفر وشمليخ وعين زوينة وبحطوش من قرى أمراء الغرب التنوخيين فى الجرد الشمالى .

تلك هى رواية المراجع المسيحية عن الحوادث التى تقدمت الحملة التى قادها الأمير جمال أقوش الأفرم سنة ٧٠٥ وانتهت إلى بما جاء فى هذه المراجع بالذات « ثم أحاطت العساكر بتلك الجبال المنيمة وترجلوا عن خيولهم وصعدوا فى تلك الجبال من كل الجهات فأخربوا القرى وقطعوا الكروم وهدموا الكنايس وقتلوا وأسروا جميع من فيها من الدرزية والنصرانية وزلت قلوب أهلها . » « ثم أمر جمال الدين أقوش أن تستقر التركمان فى ساحل كسروان » ونشأت بذلك أمارة آل عساف وسكن التركمان بلدة ذوق ميكايل وحفظوا الدروب والمسالك ، ونظم الأمير جمال الدين الأفرم طريقة الاتصال بالنيران بين الساحل ودمشق : إذ كانت تقام شعلة نارفى رأس بيروت ومنها إلى جبل بوارش ومنها إلى بيرس ومنها لجبل بالصالحية ثم إلى قلعة دمشق حتى تصل الأخبار فى وقتها ، وترتب الحمام الزاجل بمحطاته وخيل البريد إلى دمشق عن ثلاث طرق ، وهكذا انقطع اتصال الأفرنج بأهل كسروان انقطاعا تاما ودخل أهل الجبال فى طاعة ملوك مصر فلما قامت الفتنة بين الظاهر برقوق والأميرين الناصرى ومنطاش انضم لعسكر الشام العربان والتركمان وأهل كسروان والجرد من أهل لبنان، ولما عاد برقوق للملك بعث بجند مصر إلى الساحل فأخضعت البلاد بأكلها وجاء فى أخبار الأعيان أن الظاهر برقوق توجه بنفسه إلى بلدة بشرى فأقام يعقوب ابن أيوب مقدماً وكتب له صحيفة نحاسية ثم نزل إلى « دير قنوبين » حيث مدافن بطاركة الموارنة فأنعم على الدير العتيق بإعفائه من الأموال الأميرية بموجب صحيفة نحاسية .

وأعود فأقول بأن القطاع الشمالى من لبنان حيث يقع أرز لبنان كان خارجاً عن نطاق الهدنة (بين قلاوون وصاحب طرابلس) كما قلنا ولذلك جاء فى كتاب البطريرك اسطفانوس الدويهى إنه وجد فى أرض الحدث بقرب دير القديس يوحنا كتاباً للصلاة مدونا فيه ما يأتى عن فتح أهدن وبشرى :

إنه فى سنة ١٢٨٣ أى بعد هدنة طرابلس التى تمت فى أيام المنصور قلاوون بعامين « إن العساكر الإسلامية سارت إلى فتح جبة بشرى وصعدت إلى وادى حيرونا وحاصرت قريه أهدن وتم فتحها بعد أربعين يوماً وأخربت القلعة والحصن الذى على رأس الجبل» ولم يكن بوسع الأفرنج فى طرابلس ولا جماعة الاسبتار تقديم المساعدة لأهل أهدن لارتباطهم بنصوص عقد الهدنة ولذلك أتم المصريون فتحها قبل سقوط القطاع — الكسروانى وقطاع جبيل فى أيديهم . وقد رأيت كيف تمكن الظاهر برقوق بلباقته بعد قرن من الزمن أن يجذب قلوب هؤلاء السكان الأشاوس وأن ينقلهم من معسكر أعدائه إلى معسكر الحلفاء الأوفياء : فلله دره .

أما الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب السلطنة فبقى بنيابة الشام حتى دخلت سنة ٧١١ لما نقله الملك الناصر محمد إلى نيابة طرابلس بإشارة الإمام ابن تيمية فبقى بها حتى انضم إلى قراسنقر وذهبا سوياً إلى بلاد التتار بعد أن أديا لمصر أكبر الخدم .

أحمد رمزي

صور من الحياة :

وفـــــاء ..!

للأستاذ كامل محمود حبيب

قلت لصاحبي : ما لهذا الرجل يسير الهوينى يتخلع في مشيته وإن إهابه يكاد ينقد من أثر الخيلاء ، وينفض الشاطىء بالنظر الشزر وإنه ليتنزى ترفعاً وكبرياء ، ويزهى في تيهانه وبرنسه وقد ورم أنفه من صلف كأنه رب هذا البحر لا يلوي على أحد ولا ينزل إلى دنيا الناس ولا تتطامن عظمته ولا تهدأ غطرسته !

فقال صاحبي : آه إن في الناس رجالاً لو انشق عنهم ثوب الإنسان لتراءت من ثناياه صورة خنزير أو حمار . وإن لهذا الرجل حديثاً عجيباً لو اطلعت عليه لألفيته ذئباً لا يترفع عن أن يلغ في دم الإنسان حتى يرتوي . وإنه ليتصنع ما ترى ليوهم الناس بأنه شيء وما هو بشيء .

قلت لصاحبي : إن له حديثاً ؟ هاته ! فإن في النفس شوقاً إلى حديثك فأنا أحس فيه طلاوة ورواء وعقلاً .

قال : هذا الرجل ضابط كبير في الجيش ، والجيش دائماً رمز القوة والفتوة وعلامة الترفع والإباء ، وهو مدرسة تعلم الرجل كيف يصبح قوي القلب في شجاعة ، ثبت الجنان في حزم ، رابط الجأش في عزم ، شديد المراس في بأس . ليكون — حين يجد الجد — فتى الوطن الأول يذود عن حوضه ويحمي حوزته ، لا يقعد عن أن يغشى غمرات الموت في غير رهبة ، ولا يفزع عن أن يرد مضلات الردى في غير خوف ، فهو ذخر الوطن عند الجلاد وذخره في ميدان الجهاد . ولكن هذا الرجل تاه في نزوات نفسه فما لمس في الجيش معنى واحداً من معانيه السامية .

كان هذا الرجل — منذ سنوات — ضابطاً صغيراً في مقتبل العمر وزهرة الحياة يتوثب قوة ونشاطاً ويتألق فتوة ورواء ، يبسم للأمل ويبسم هو له ، ويسكن إلى أخيلة المستقبل وهي — في ناظريه — وضاءة مشرقة . ثم بدت له في ثنايا حياته فتاة كانت حلم قلبه ونور عينه وسحر فؤاده فما تلبث أن انطلق إلى أبيها يخطبها : ورضي الأب الثري بالضابط الفقير زوجاً لابنته الجميلة الفتانة حين رأى فيه الرجولة والصلاح وحين بدا له أن المستقبل يوشك أن ينفرج أمامه عن منصب في الجيش ذي شأن ؛ ورضيت الفتاة به حين خلبها شبابه وزيه وحين أسرها جماله وحديثه.

وعاشت الفتاة إلى جانب زوجها تسعد برفقته وتطمئن إلى رأيه ، وترعى شأنه ، وتصبر على شظف العيش وراتبه ضئيل تافه؛ وأبوها يرى ثم لا يقبض يده عنها . وعاش الزوج شقياً بجمالها تأكله الغيرة حين يراها تشع نوراً يخطف البصر ، وتصفعه الأنانية حين يلمس فيها معاني الشباب تخطف القلب . لطالما حدثته نفسه بأن يضرب بينها وبين العالم بحجاب لا تستطيع أن تظاهره . ولكن أنى له أن يفعل وهو لم ير عليها من سوء ولم يحس فيها من عقوق . وتصرمت الأيام تبذر فيها معاني الإخلاص والمحبة ، وتورث فيه هو معاني الأنانية والغيرة . والفتاة تسبح في حمق عميق لا ينفذ بصرها — وهي في عمايتها — إلى بعض ما يتأجج في صدر زوجها .

ومضت سبع سنوات جنت الزوجة في خلالها ثمرتين من ثمار الحياة فيهما سعادة القلب وراحة البال وفيهما جمال الحياة وفرحة الدار .. ثمرتين هما الابن والابنة . واطمأنت الزوجة إلى حياتها وإلى ولديها ، فهي تقضي يومها بين حاجات الزوج ورغبات الطفلين لا تحس الضيق ولا تجد الملل .

وطمع الزوج الأحمق أن تنحط الأيام على الزوجة المسكينة فتتوزعها بين شغل الدار وشغل الابن وهم الزوج جميعاً فتستلبها من جمالها أو تعبث بسحرها . ولكن الأيام لم تزد الفتاة إلا إغراء وفتنة ، وغاظ الزوج ما رأى فاندفع يذيقها فنوناً من العنت والإرهاق أمل الأسى يمد يده الجاسية إلى مفاتنها فيمسح سمات الجاذبية والروعة ويمحو آثار الحسن والرواء . غير أن الفتاة العاقلة لم تلق بالاً إلى حماقات رتكبها زوجها عن عمد ليثير في الدار لظى من خلاف يعصف بها وبولديها في وقت معاً .

وضاق الفتى بصبر زوجته فانطلق ينفس عن نوازع شيطانية تثور في نفسه ويكفكفها على كره منه . انطلق ينفس عن نفسه فتعرف على فتاة من بنات الهوى ، وسولت له نفسه الوضيعة أن يدس لزوجه من يخبرها خبر حبه الجديد . وقالت الزوجة الحصيفة

للرسول « ويل لك ! لا إخال زوجي يرضى بأن ينحط في مهاوي الرذيلة بعد أن جاوز سن العبث ! » قال الرسول « لعلك ترمينني بالكذب ! إنه يلقاها مساء كل يوم في مكان كذا من القاهرة » فقالت الزوجة « وماذا يمنيني ؟ سأدعه يتمتع بأي امرأة شاء ما دمت أرى بين يدي هاتين الزهرتين الجيلتين أجد فيهما اللذة والسلوة » وأحس الرسول بالخيبة والإخفاق فانفلت من لدنها لا يلوي على شيء . وأسرت الزوجة في نفسها أمراً ...

وفي المساء انطلقت الفتاة تسترق الخطى ... انطلقت لترى زوجها بين يدي فتاته التي أحب . وأحست بالدوار يكاد يغلبها على أمرها من عنف الصدمة وشعرت أن قلبها الطاهر يكاد ينشق عن صدع يتوثب من خلاله الضيق والكمد ، وأن عقلها يتضرم ناراً حامية توشك أن تلتهمها هي ، فأسرعت إلى الدار لتضع عنها إصرها في زفرات كاوية يتلظى الغيظ من جوانبها ، ولترسل الأسى من عينيها عبرات متدفقة هتانة ما تستطيع أن تكفكفها إلا حين تسمع وقع أقدام زوجها وهو يرق درج السلم ، وإلا حين يهفو ولداها نحوها فتضمهما إلى صدرها في شوق وحنان .

يا لقلب الأنثى ! إنك صلب عنيد لا تضرب إلا أن تحس الخيانة من قلب رجل حملت أنت له الإخلاص والوفاء !

يا لقلب الأنثى ! إنك راسخ متين لا يعصف بك إلا أن تستشعر المهانة والاحتقار والإهمال من قلب رجل أحببته ساعة من زمان !

أما أنت أيها الرجل ، فلقد سفلت أسفل سافلين ، حتى بعت زوجك وأولادك بالثمن البخس بفتاة من عرض الشارع تستلبك من رجولتك ومن شهامتك ومن إنسانيتك في وقت معاً !

وانضم قلب الفتاة على أسى فتاك تخر الجبال من هوله ، فما استطاعت أن تكشف عن جهرتها أمام أبيها ، ولا أن تحدث أمها بحديث كربتها ، فراحت تتلمس السلوة في ولديها وفي كلب صغير كان هملا في الدار من قبل ، فأخذت تدلله في رقة وتحدب عليه في عناية . وأحس الكلب بسليقته الحيوانية أن سيدته تحنو عليه ، فذهب يتمسح بها ويخضع لها ويقع عند قدميها . ورضي الكلب بأن يكون عبد السيدة حين أحس فيها الشفقة والرحمة !

* * *

ومضت الأيام والشهور تبذر في الدار غراس الشقاق والاضطراب ، والزوجة تصبر على ضيق وتنفض على مضض ، وهي تنظر إلى طفليها في عطف وتضمهما في حنان ... ثلاث سنوات عجاف والسكينة في الميدان تجاهد الرجل وهو غليظ الكبد واهي الرجولة لا يرعوي ولا يرتدع .

يا عجباً ! أفيكون شيطان الكبر قد ركبه لأنه تدرج في مناصب الجيش العليا في سرعة فأخذت نفسه تهوى إلى أسفل كلما سما منصبه إلى أعلى ؟

وضاق صدر الزوجة على رحابته ، ونفذ صبرها على سمته ... فجاء حكم من أهلها وحكم من أهله ، فما استطاعا أن يصلحا ذات البين ، واتفق الزوجان — بعد لأي — على الطلاق !

وخيل للزوجة أنها تهرب من سجن أرغمت على البقاء فيه سنوات ، فهبت تعد حاجاتها في نشاط ، وتلم شعثها في جد ، وإن قلبها ليضطرب اضطراباً شديداً كلما تراءى لها أن ابنيها سيعيشان في كنف هذا الشيطان الفظ ، وإن كلبها ليتبعها في خضوع ويتمسح بها في ذلة ... ثم انطلقت صوب الباب فاندفع الكلب على أثرها ، ولكنها صفقت الباب من دونه لتحول بينها وبين كلب هذا الرجل ... الرجل الجاثم في ركن تجذبه خواطره الأرضية إلى أسفل ، فلا ينبض قلبه بعاطفة ولا تخفق أفكاره بنسمة روحانية .

وأحس الكلب بسليقته الحيوانية أن سيدته قد خرجت من هذه الدار ولن تعود أبداً ، فانطلق إلى الطنف يريد أن يودعها الوداع الأخير . يا لله ! أفأصيب الكلب بمس من الجنون فراح يذرع الطنف في سرعة ، ينظر إلى الشارع من هنا ومن هناك وهو ينبح نباحاً عالياً فيه الشجو والبكاء ؟ ولذ للسيدة أن تستمتع بقلق الكلب وحيرته ، فوقفت حيناً تشير إليه وتناديه وهي تبتسم ، ثم همت أن تركب سيارة أبيها وهي تنتظرها لدى الباب ، فما راعها إلا الكلب وهو يقذف بنفسه بين يديها .

ووقع الكلب فانكسرت رجله ، ولكنه — برغم ما يقاسي من ألم — اندفع صوب سيدته وهو ينبح نباحاً فيه الشجو والبكاء ، اندفع ليدفن نفسه في حجرها .

وطفرت من عيني السيدة عبرة ... عبرة واحدة .. لأن كلباً حفظ عهد الود ورعى حق الوفاء على حين لم يفعل الرجل .

آه ، يا صاحبي ، إن في الناس رجالاً لو انشق عنهم ثوب الإنسان لتراءت من ثناياه صورة خنزير أو حمار أو ...

كامل محمود حبيب

غروب

للأستاذ شكرى فيصل

« منذ عام حطمت أقلامى التى كنت ألقى بها الناس ، وعشت بين أحزانى وأصدقائى ... هذه تعزونى وأولئك يعزوننى ... واليوم أفيق على نحيب الذكرى ولوعة المصاب . وتختلط على الصور والأشياء ... فإلى الروح التى تسبح فى أعلى عليين ... الى روح خالى الذى علمنى وأدبنى ... هذه النفحات » .

— ١ —

حين جزت ضفة النيل ... من هذه الخضرة الخضراء والبساتين المروجة إلى الضفة الأخرى التى تستريح على ذراعها الرمال الصفراء وتخفق على جنباتها الأمواج الزرق فى « رأس البر » كنت فى مثل ذهول المأخوذ وغيبوبة المنتشى ... كانت الساعة قرابة السادسة ، والشمس تميل عن سمائها التى عاشت فيها ، وتنحدر فى شىء من البطء وفى كثير من الأسى نحو الأفق البعيد الذى يبسط لها جناحان من ضباب ونور .

ولم يكن فى وسع الإنسان ، إذ يتجرد عن كل ما حوله من حركة الناس ، أن يدرك أكانت تلك ساعة من ساعات الصباح الفتى أو لحظة من لحظات المساء المتداعى ... فقد كانت هذه الأستار المريضة التى تلقيها السماء هنا وهناك علامة من علامات الظلمة ، وكانت الشعاعات الرضية التى تند عن الشمس شارة من شارات النور ... كان هناك هذا المزيج الذى يغشى بعضه بعضا من الليل والنهار ، وهذا الخليط المتشابك من الأخلاط والضباب ، وكان فى ذلك كله تناسق أصيل محبب .

— ٢ —

وألقيت أقدامى فى الطريق إلى البحر ... وأدرت ظهرى إلى الشارع الذى يطفح بالناس على ضفة النيل ، ولم أحاول أن أستجيب إلى شىء مما حولى من جلبة الأشياء وحياة الأحياء ، وخلفت من ورائى فى نظرة عابرة كل هذه الحركة التى يتحرك بها هذا الشارع الأنيق وهذه الزينة التى يزدان بها ... ولم يكن من بأس أن أخالف من عادة الناس ، هنا فى رأس البر ، حين يقسمون وقتهم قسمة مناصفة بين البحر والنهر ... فإذا كان الضحى لجأوا إلى البحر ، وأخلد بعضهم إلى رماله وانتهى بعضهم يصارع أمواجه ... وإذا كان الأصيل لجأوا إلى النهر فانسابوا على شاطئه ، عين إلى صفحته الهادئة ، وعين إلى الصفحات الأسيلة التى لوحتها الشمس فى الصباح وخفقتها الأصباغ فى الأصيل

وجزت طريقاً من هذه الطرق المتعارضة وحدى ... كنت أشبه بالضال أو كذلك خيل إلى ... فقد كانت الأنظار التى تمر بى كأنما تتحدث إلى ، بعضها يتحدث مشفقاً على وبعضها هازئاً منى ... ولكنى كنت أنا مشفقاً عليها دائماً راثياً لها أبداً. وإلا فكيف يخلى هؤلاء الناس بينهم وبين هذه اللحظات التى لا تنسى من عمر الشمس ... كيف يبيحون أن يجليبوا إليها أكثر النهار يستمدون منها القوة ويستجدون العافية ويتقلبون فى مهاد من أشعتها الحلوة ، حتى إذا غلبها على أمرها الفلك الدوار وانحنت تودع هذا الشاطىء انصرفوا عنها ... لم يكن فى وداعها إلا ثلاثة : شاعر حالم ، ومحب مستخف ، وحارس كهل من حراس الشاطىء ينتظر موعد الصلاة ؟ !

ولكن ما ينفع العجب ؟.. وهل هذا إلا صورة من وفاء الناس للناس ، يتجاوز الأحياء إلى الأشياء .

... وانتهيت إلى البحر من أقرب طرقه — وكل الطرق إليه قريب — فأنا مع هذا القرص المتوهج الذى يبقى من الشمس على ميعاد ، فى كل يوم ، لا أخلفه إلا مكرها على إخلافه ، ولا أنصرف عنه إلا أن يحول بينى وبينه ما لا قبل لى بدفعه ، فإن فاتنى أن أراه عشت معه أتخيله ، حتى تطويه لفة الأفق فى لحن سماوى من الألوان ، حزين .

— ٣ —

ورأيتنى أشهد الشمس الهاوية فى استغراق ، وغشى عينى دمع ثر ، كأنما استمار من الموج تدفقه ... ولم أحس لهذه الصورة التى أراها كل يوم مثل الذى أحسسته لها اليوم ... كنت أحس بعض هذا الاستغراق غير أنى لم أكن أضل ذاتى ... كان حاجز رقيق أو صفيق يحول بينى وبين الفناء ويبقى على شيئاً من كيانى، ولكنى فى هذه اللحظات لم أعرف أين أنا ومن أنا فقد اشتملنى جناح رقيق رقيق ، وطار بى فى هذا الأفق الوغل المترامى

من كتاب قصور العرب :

غُمْدَانُ[1]

للأستاذ كاظم المظفر

يظنُّ الكثير أن العرب فى الجاهلية كانوا بدوا لم تكن لهم حضارة ولم يُؤسسوا الدول والممالك ، ولم يُقيموا الشرائع والأنظمة . ولكنا إذا درسنا تاريخ اليمن فقط ، نجد الأمر بخلاف ذلك ، لأن العرب فى اليمن كانوا أصحاب دول منظمة ، حكومتها بيد ملوك يتمتعون بالسلطة المطلقة . لهم جيوش للتعمير وليست للتخريب. يجمعون الرجال لبناء المدن والقصور، وإنشاء السدود ، وحكومتهم وراثية لها نقود رسمية مزينة بالنقوش والصور كرأس الثور رمز الزراعة أو صورة الهلال أو الصقر ، وعلى نقودهم كتابة عربية بالخط المسند[2].

واليمن من أقدم الأقطار التى نشأت فيها الحضارة ، فلو قام علماء العاديات بالحفر فى أنحاء اليمن لأطلعوا العلم على آثار تلك الحضارة . وحضارة اليمن العربية القديمة بادية فى بناء أسداد الرى ، وتشييد القصور ، وتأسيس القصبات والمدن ؛ ففى اليمن حضارة عربية قديمة ، وخزانة الأقوام العربية المتدفقة[3].

وكان اليمانيون طبقات ، منهم الجنود والفلاحون والصناع والتجار ؛ غير أن التجارة غلبت على البلاد لوقوعها على الطرق . وقد اشتغلوا بالزراعة لخصب تربة البلاد ؛ واشتهرت اليمن بمعادنها من الذهب والفضة والحجارة الكريمة . وهذا ما زاد فى ثروة البلاد ، فأصبح أهلها أغنياء . بنوا القصور العالية ، وشيدوا المدن الكبيرة ، والقلاع العظيمة[4]... وأشهر قصورها قصر

(١) غمدان : بضم أوله وسكون ثانيه وآخره نون ، وقد صحفه الليث فقال عمدان بالعين المهملة ، ويجوز أن يكون جمع غمد مثل ذئب وذؤبان . وغمد الشىء غشاؤه ولبته فكان هذا القصر غشاء لما دونه من المقاصير والأبنية (معجم البلدان مادة غمدان ج ٦ ص ٣٠١)

(٢) تاريخ الأمة العربية لدرويش المقدادى ص ٢٣

(٣) جغرافية بلاد العرب للعميد طه الهاشمى ص ١٠١

(٤) تاريخ الأمة العربية ص ٢٤

غُمدان فى مدينة صنعاء . ذكر الهمدانى وياقوت أن بانيه اليشرح يحصب[1] ؛ فإذا صحّ قولهما كان بناؤه فى القرن الأول للميلاد ، وظل باقياً إلى أيام عثمان بن عفان[2] فى أوائل القرن الأول للهجرة فيكون قد عاش نحو (٦٢٠) سنة[3].

وقد شاهد الهمدانى بقاياه تلاً عظيماً كالجبل ؛ وقال فى وصفه أنه كان عشرين سقفاً غرفاً بعضها فوق بعض أى عشرين طبقة[4] مثل أبنية العالم التمدن وأعلاها . بين كل سقفين عشرة أذرع[5]

وفى الإكليل[6] أن محمد بن خالد رفع حديثاً إلى وهب ، فقال : لما بنى غُمدان صاحب غمدان ، وبلغ غرفته العليا أطبق سقفها برخامة واحدة شفافة ، وكان يستلقى على فراشه فى الغرفة فيمر به الطائر فيعرف الغراب من الحدأة وهو تحت الرخام . وكانت حروفه أربعة تماثيل أُسود من نحاس مجوفة ، رجلا الأسد فى الدار ، ورأسه وصدره خارجان من القصر ، وما بين فمه إلى مؤخره حركات مدبرة . فإذا هبت الريح دخلت أجوافها ، فيسمع زئير كزئير الأسد . وكان يُصبح فيهما بالقناديل ، فترى من رأس عجيب[7]. وذلك حين تُسرج المصابيح فى بُيوت الرخام إلى الصبح ؛ فكان القصر يلمع من ظاهره كلمع البرق . فإذا أشرف الإنسان ليلاً قال أرى بصنعاء برقاً شديداً كثيراً ، وهو لا يعلم أن ذلك من ضوء السُرُج[8]. وكانت غرفة الرأس العليا

(١) اليشرح . ويروى هذا الاسم بصور مختلفة . قال فى تاج العروس فى مادة غمد فى كلامه عن بانى قصره : بناه يشرخ . هكذا بالشين والخاء المعجمتين . وفى بعض النسخ بالمهملات (كذا والأصح بالمهملتين) وفى بعضها بزيادة اللام على التحتية (أى ليشرخ) . وجاء أيضاً (ذوشرح) كما فى أبيات أبي الصلت التى سيأتى ذكرها . والأكثر أنه اسمه وهو يشرخ بن الحارث بن صيفى بن سبأ أجد بلقيس . والظاهر أن رواية هذا الاسم الفصيحة الصحيحة هى اليشرح أو ليشرح بن يحصب (راجع معجم ياقوت مادة غمدان ج ٦ ص ٣٠١ ، والعرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ١٤٥)

(٢) مروج الذهب للمسعودى ج ص ٢٦١

(٣) العرب قبل الإسلام ص ١٤٥

(٤) وفى معجم ياقوت مادة غمدان : « وبنى على سبعة سقوف بين كل سقفين منها أربعون ذراعاً » وهذا أقرب إلى العقل من قوله : على عشرين سقفاً .

(٥) العرب قبل الإسلام لجرجى زيدان ص ١٤٥

(٦) ج ١ ص ٢٢ - ٢٣

(٧) عجيب : اسم جبل فى اليمن قريب من صنعاء .

(٨) كتاب البلدان للهمدانى طبعة ليدن ص ٣٥

مجلس الملك اثنى عشر ذراعاً . وكان للغرفة أربعة أبواب قبالة الصبا والدبور والشمال والجنوب ؛ وعند كل باب منها تمثال من نحاس إذا هبت الريح زأر ؛ وفيها مقيل (1) من الساج والآبنوس وكان فيها ستور لها أجراس إذا ضربت الريح تلك الستور تسمع الأصوات عن بُعد .

وكان غمدان على سبعة سقوف بين كل سقفين أربعون ذراعاً ، وهذا لا يمكن ؛ لأن أربعين ذراعاً بين كل سقفين كثير ، والثبت ما ذكرناه أنه عشرون سقفاً كل سقف على عشر أذرع ، فذلك مائتا ذراع ، ولن يتعذر لقدرتهم على كل معجز من البناء (2) .

وأن أبا شرح كان ملك غمدان ، وقد بناه على سبعة أسقف كل سقف منها على أربعين ذراعاً . وكانت له أربعة أوجه في تراييعه : وجهٌ مبنى بحجارة بيض ، ووجه بحجارة سود ، ووجه بحجارة خضر ، ووجه بحجارة حُمر . وكان في أعلاه غُرفة لها لجٌ وهي الكوى . كل كوّة (3) منها بناء رخام في مقيل من الساج والآبنوس ، وسقف الغرفة رخامة واحدة صفيحة . وقال آخر : كانت الغرفة تحت بيضة رخام من ثماني قطع مؤلفة ؛ وذلك أحرى لأنهم كانوا يثقبون فيها السرُج فترى من رأس عجيب ، ولا ترى فيها حُمرة النار مع الرُخامة المبسوطة ، ويؤيد ذلك قول علقمة :

مصابيح السليط يلحن فيه   إذا يمسى كتوماض البروق (4)

ويقال : إن غمدان أول قصر بني باليمن ، ووجد فيه حجر في بعض زواياه فيه مكتوب بالخط المسند : « بناء غمدان » . وإنه البناء الذي ذكره الله عز وجل بقوله : (لا يَزَالُ بنيانُهُم الذي بنوا رِيبةً في قلوبهم) (5) . فلما نزلت هذه الآية أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن مُسيك ليهدمه ، فلما أراد هدمه لم يقدر عليه ، حتى أحرقه بالنار ، ولم يهدم إلا بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو عند وفاته . لأنه لم يهدم إلا بعد أن عمل فروة بن مُسيك وقيس بن هُبَيْرة المكشوح في قتل الأسود بن كعب العنسي الذي ادعى النبوة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وله خبر طويل ؛ وكان في القصر فقتل في السنة التي توفي فيها الرسول صلى الله عليه وسلم (1) وقيل هدم في أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه (2) ، فقيل له : إن كهان اليمن يزعمون أن الذي يهدمه يُقتل ؛ فأمر بإعادة بنائه ، فقيل له : لو أنفقت عليه خرج الأرض ما أعدته كما كان فتركه .. وقيل أيضاً وجد على خشبة لما خُرّب وهُدم مكتوب برصاص مصبوب : « إسلم غمدان ، هادُمكَ مقتول » فهدمه عثمان رضي الله عنه فقتل (3) . وهناك وجه آخر قال فيه ابن الكلبي : كان على كلِّ ركن من أركان غمدان مكتوب « إسلم غمدان ، معاديك مقتول بسيف العدوان » (4) .

وقد اضطربت آراء المؤرخين في بانيه ، وتشعبت أقاويلهم في ذلك ، وذهبوا مذاهب شتى ، نذكر ما استطعنا أن نعثر عليه من أقاويلهم .

١ — سليمان بن داود عليهما السلام (5) ، وذلك أنه أمر الشياطين أن يبنوا لزوجته بلقيس أربعة قصور : غُمدان ، وصِرواح ، وبينون ، وسلحين . وكلها باليمن (6) . ومال إلى هذا القول كثير من المفسرين (7) ، ولعلَّ سليمان أقدم من نسب إليه بناء غمدان .

٢ — جاء في الروض الأنف : غمدان حصن كان لهوذة بن علي ملك اليمامة (8) .

٣ — وجاء فيه أيضاً : ذكر ابن هشام أن غمدان أنشأه يعرب بن قحطان ، وأكمله بعده وائل بن سبأ بن يعرب (9) ، وكان ملكاً متوّجاً كأبيه وجدّه . وله ذكره في حديث سيف ابن ذي يزن (10) .

---

(1) المقيل : ما يجمع ويوضع فيه الباب بخشبه أو الكوة بخشبها وهو الذي يسميه المولدون : اللبن وهو الاطار الذي على الحائط من جهاته الأربع وينزل فيه خشب الكوة أو الباب .
(2) الاكليل ج ٨ ص ٢٣ — ٢٤
(3) الكوة بالتشديد : فتحة في الدار
(4) وينسب هذا البيت إلى أبيات أخر إلى ذي جدن الهمداني (العرب وأطوارهم ص ١٠)
(5) سورة التوبة آية ١١١

(1) الاكليل ج ٨ ص ٢٥
(2) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦
(3) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٣
(4) نهاية الأدب للنويري ج ١ ص ٣٧١
(5) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦
(6) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٠٢
(7 ، 8) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦
(9) نهاية الأرب للقريزي ج ١ ص ٣٧١
(10) تاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

٤ — سام بن نوح(١)

٥ — بيوراسب وقد بناه على اسم الزُّهَرة . وهذا القول ضعيف فلم يورده إلا النويرى فى نهاية الأرب ج ١ ص ٣٧٠

٦ — ليشرح بن الحرث (أو الحارث) بن صيفى . وقد رجح هذا القول جماعة من المؤرخين واعتمده صاحب القاموس(٢) .

٧ — سيف بن ذى يزن . وقد انفرد بهذا القول الزمخشرى(٣) . وقد أخطأ فيه لأنه سبق بناؤه قبل وجوده بقرون عديدة .

وقد ذكر الهمدانى أن الذى أسس غمدان وابتدأ بناءه واحتفر بئره التى هى اليوم سقاية المسجد الجامع بصنعاء « سام بن نوح » اجتوى(٤) بعده السكنى فى أرض الشمال ، وأقبل طالماً فى الجنوب يرتاد أطيب البلاد . حتى صار إلى الاقليم الأول ؛ فوجد اليمن أطيب مسكناً ، وارتاد اليمن فوجد حقل صنعاء أطيب ماء بعد المدة الطويلة ، فوضع مقرانه(٥) ؛ وهو الخيط الذى يقدر به البنّاء ويبنى عليه بناءه إذا مدّه بموضع الأساس فى ناحية فج غمدان ، فى غربى حقل صنعاء ، فبنى الظّبر ، وهو اليوم معروف بصنعاء ، فلما ارتفع بعث الله طائراً ، واختطف القرانة ، وطاربها ، فتبعه سام لينظر أين وقع ، فأقام بها إلى جنوب النعيم من سفح نقم(٦) ، فوضع بها ، فلما رهقه(٧) طار بها فطرحها على حرجة(٨) غُمدان ، فلما قرّت على حرث(٩) غُمدان علم سام أن قد أُمر بالبناء هناك ؛ فأسس غمدان(١٠) ، واحتفر بئره ، وتسمى كرامة وهى : سفاء إلى اليوم ولكنها أجاج(١١) .

(يتبع) كاظم المظفر

(١) نهاية الأرب ج ١ ص ٣٧١

(٢) العرب وأطوارهم ج ١ ص ٩ وتاج العروس ج ٢ ص ٤٤٦

(٣) فى ص ٨١ من كتابه « الجبال والأمكنة والمياه » ط المطبعة الحيدرية بالنجف .

(٤) اجتوى البلد : كره المقام فيه وإن كان فى نعمة .

(٥) ذكر العلامة الأب انستاس مارى الكرملى أن القران بمعنى المطمار لم أجده فى كتاب ، لكن القياس لا يمنعه اسم آلة .

(٦) نقم : جبل مطل على صنعاء اليمن قرب غمدان .

(٧) أى لحقه

(٨) الحرجة : الموضع الذى يلتف شجره .

(٩) سكان هناك ويعرفون ببنى حرث أيضاً .

(١٠) وفى معجم ياقوت فى مادة غمدان مثل هذه الحكاية .

(١١) الاكليل ج ٨ ص ٦

على ضريح خليل مطران

للأســـتاذ راجى الراعى

مسح الخلود جبينه إعظاما ... فأفاق من بين العظام وقاما
وأزاح عنه ترابه وظلامه ... وعلا يصفق بالجناح وحاما
يا من تخيرك البيان لسحره ... لم يرض غيرك سيداً وإماما
كيف استطاع الموت أن يلقى على ... عينيك من ليل التراب ظلاما
ماذا دهاك فلم يحول وجهه ... سحر البيان فنال منك مراما
ما كان يعمى السحر عما تبتغى ... أتراه أغواه الردى فتعامى
ألقى الحمام وقد مررت بداره ... ما فى يديه وصادق الأرحاما
لما أحس بمجد من أودى به ... أخلى القبور من النيام وناما

* * *

هـــذا هو الجبار فى أحلامه ... تخذ المجرة فى السماء مقاما
يستنزل الآيات يرسلها على ... مر الدهور أشـــمة وسهاما
بخياله ضم العلاء وما حوى ... وبفنه أفنى الفنـــاء فداما
أنّى التفت رأيت من أمجاده ... علماً يتيه ومارداً يتســـامى
وكتيبة فى الجـــو إثر كتيبة ... تعلو وتبسط باسمه الأعلاما
سل عنه رب الشعر من أعلى له ... بيت الصلاة وحطم الأصناما
جاءوه بالحجر الكريم المنتقى ... فبنى القباب وشيد الأهراما
وأتته جنات النعيم بحورها ... تشدو وفى أحضانه تترامى
خاض العباب ولم يبلل ثوبه ... وغزا القضاء ولم يسل حساما
كم من رماد غاب فيه ضرامه ... فاستل من قلب الرماد ضراما
ما كان يحمل غير سيف لهيبه ... سيفاً يضىء محبة وسلاما
يمشى به فى موكب من روحه ... ويحيل حقد الحاقدين هياما
لا يستريح وفى المدينة بائس ... يشكو وجرحى للردى ويتامى
يبكى الوفاء به أعـــز رفاقه ... حفظ العهود وحقق الأقساما
لو كان يختار الوفاء رسومه ... ما اختار غير (خليله) رساما

* * *

صبت له الدنيا الكؤوس فلم يجد ... فى ما سقته من الكؤوس مداما
لم يكشف السر الدفين وعاش فى ... أيامـــه يستنطق الأياما
ويجاذب الغيب المعمى لثامه ... والغيب يأبى أن يزيح لثاما
واليوم يسقى ما اشتهاه خياله ... فى الجنة الخضراء حيث أقاما

راجى الراعى

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

تعقيب على مقال فى (الثقافة) :

كتب الأستاذ أحمد أمين بك فى العدد (٥٦٠) من « الثقافة » مقالا طريفاً تحت عنوان « نظرية طريفة » . وخلاصة المقال ، أو خلاصة النظرية : أن هناك كتاباً لـكاتب الصينى « لن يوتانج » يرى فى أحد فصوله : « أن لـكل أمة مزاجاً ، وهذا المزاج يتكون من عناصر أربعة : عنصر الواقع ، أو بعبارة أخرى : النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعنصر الحلم أو الخيال أو المثالية ، وعنصر المرح أو روح الفكاهة ، وعنصر الحساسية أو قوة الشعور بالأحداث ... واصطلح الـكاتب الصينى على أن يجعل كل عنصر من هذه العناصر الأربعة إذا بلغ درجة (٤) فشاذ ، أعلى مما يلزم ، وإذا بلغ (٣) فرتفع ، وإذا بلغ (٢) فمعتدل ، وإذا بلغ (١) فنخفض ... وكل أمة لديها هذه العناصر الأربعة ولـكن بأقدار مختلفة ، وهى تسير فى الحياة وتتصرف فى الأحداث وفق امتزاج هذه العناصر ومقاديرها . وعلل بعض مايبدو فى الأمم من مظاهر بهذا المزاج ؛ فالفرنسيون مثلا يميلون إلى النظريات المجردة وسعة الخيال ، كما يتجلى ذلك فى أدبهم وفنهم وكثرة حركاتهم السياسية ، وذلك ناشئ عن علو درجتهم فى المثالية ، والصينيون أعرق الناس فى الواقعية ، والألمان أحوج الناس إلى روح الفكاهة ، حتى لقد كدت أعطيهم صفراً . وهذا ما أتعبهم فى السياسة فى الماضى والحاضر ، ولو منحوا قدراً كافياً منها لتغير تاريخهم وتغير وجه الحرب ... ثم ذكر أن المثـل الأعلى لأمة أن يكون قانونها : واقعية ٣ مثالية ٢ فكاهة ٣ حساسية ٢ ، وأقرب الأمم إلى هذا المثل الإنجليز » .

هذا هو رأى « لن يوتانج » الذى نقله الأستاذ أحمد أمين بك دون تعقيب أو مناقشة ... أما نحن فنقول عن تفسـير الـكاتب الصينى لإخفاق الألمان فى ميدان الحرب والسياسة بأنه من أثر النقص فى عنصر المرح والفكاهة ، نقول عنه إنه تفسير مضطرب يقوم على أسس تفـكيرية منحرفة ؛ فلو اهتدى « لن يوتانج » بمنطق الحوادث ومنطق التاريخ لوضع النقص فى عنصر الواقعية مكان النقص فى عنصر الفكاهة ... ذلك لأن الألمان قد دأبوا على ألا ينظروا إلى الوجود كما هو موجود ، ولو أنهم كانوا واقعيين لـما أثاروا حقد العالم فى ميدان السياسة بتلك النزعة العنصرية التى تنشد الغلبة والتفوق فى مجال الفخر والمباهاة ، ولو أنهم كانوا واقعيين لـما تحدوا العـالم كله فى ميدان الحرب بتلك النزعة البروسية التى تتمثل أمجاد الماضى البعيد فى مجال التطبيق على الحاضر المشهود ! ... ومن العجيب أن « لن يوتانج » قد منح الألمان ثلاث درجات لأنهم واقعيون ، وهى نفس الدرجات التى وضعها فى مواجهة الواقعية البريطانية !

بعد هذا ينتقل الأستاذ أحمد أمين بك إلى تطبيق هذه العناصر على المصريين منتهجاً نفس الخطة التى سار عليها « لن يوتانج » فيقول : « فى نظرى أن المصريين يغالون فى الواقعية ويقصرون فى المثالية ، ومن أجل هذا يغلب عليهم احتذاء التقاليد والأوضاع القديمة ، حتى التى كانت فى عهد قدماء المصريين التزاماً للواقع » .

يؤسفنى أن أعقب على هذا الرأى فأقول : إن نظرة الأستاذ الفاضل إلى الواقعية تتنافى مع الأساس الذى تعارف عليه الناس ومع الأساس الذى وضعه « لن يوتانج » حين فسر الواقعية بأنها النظر إلى الوجود كما هو موجود ، وعلى ضوء هذا التفسير المقبول لا يستقيم التطبيق الذى أورده الأستاذ أحمد أمين بك فيما يختص بالمصريين ، فلو مال المصريون إلى الأخذ بأسباب الواقعية لنبذوا تلك النزعة الخيالية التى تدفع بهم إلى التمسح بأنقاض ماض يفصل بينهم وبينه آلاف السنين ! ترى هل يمـكننا أن نفسر احتذاء المصريين للتقاليد والأوضاع القديمة بأنه التزام للواقع كما يقول الأستاذ أحمد أمين بك ؟ أغلب الظن أننا لا نستطيع أن نفسره إلا بأنه التزام للخيال .

ولقـد أعجبت بمنطق الأستاذ أحمد أمين بك حين تناول عنصر المثالية فى حياة المصريين بقوله : « .. وحتى الأدب

والفنون عندهم تنقصها الأحلام والخيالات ، ولذلك ضعفت القصة في أدبهم وكثرت الحكم ، لأن الحكم واقعية والقصة خيالية . والأدب المصري يسير سيراً تقليدياً ، إما تقليداً للأدب العربي القديم أو للغربي الحديث ، وقل فيه الابتكار ، لأن الابتكار خلق والخلق يحتاج إلى تصميم والتصميم يحتاج إلى خيال أومثالية . ولعل هذا هو شأن الشرق بأجمعه لا المصريين وحدهم ، فإن صح هـذا وجب على المصلحين أن يؤسسوا إصلاحهم وبرامجهم على الإقلال مما يسبب الواقعية والإكثار مما ينمي المثالية ». ويلاحظ هنا أن الأستاذ أحمد أمين بك يدعو إلى الإقلال من الواقعية لأنه كما قلنا ينظر إليها نظرة خاصة تجعل منها أداة تأخر ورجعية ، ولو استخدم الأستاذ منطق « لن يوتانج » لأدرك أن الواقعية هي سر هـذا التوفيق الذي لازم الأمة البريطانية في تاريخها الطويل ، ومن هنا استقام منطق الكاتب الصيني حين منح الإنجليز ثلاث درجات في هذا المجال

أما في مجال الفكاهة والحساسية ، فقد بلغ الأستاذ أحمد أمين فيه التوفيق ، وقد وقع في شيء من التناقض حين قال : « أما روح الفكاهة فهي نامية عند المصريين ، وقد خففت عنهم كثيراً من متاعبهم ، بل وقد تكون حفظت عليهم وجودهم ، فما تحملوه من ضغط آلاف السنين كان يكفي للقضاء عليهم لولا روح الفكاهة ، فأنا أقدر روحهم الفكاهية بثلاث درجات على الأقل ... ثم إن المصريين كالفرنسيين ينالون ثلاث درجات في الحساسية ، فهم سريعو الغضب سريعو الانفعال في شدة ، وقد يلاحظ عليهم أنهم ينفعلون لدواعي الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعي السرور » ! ... إن التوفيق هنا مرجعه إلى تقرير الواقع في كثير من الدقة بالنسبة إلى أثر الفكاهة في حياة المصريين ، ولكن التناقض يظهر عندما يقال إن المصريين ينفعلون لدواعي الحزن أكثر مما ينفعلون لدواعي السرور . كيف نوفق بين قول يسجل الغلبة لعنصر الفكاهة والمرح وقول يسجل هذه الغلبة نفسها لروح الحزن والاكتئاب ؟

ويمضي « لن يوتانج » في تطبيق نظريته على الكتاب والشعراء ، ثم ينتهي آخر الأمر إلى تقدير بعض الشعراء بهذه المقاييس :

شكسبير : واقعية ٤ مثالية ٤ فكاهة ٣ حساسية ٤
هاينى : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٤ حساسية ٣
شلي : واقعية ١ مثالية ٤ فكاهة ١ حساسية ٤

ويسلك الأستاذ أحمد أمين بك طريق الكاتب الصيني ليصل إلى حقيقة تلك العناصر عند المتنبي وابن الرومي فيمنحهما هذه الدرجات :

المتنبي : واقعية ٣ مثالية ٣ فكاهة ٢ حساسية ٣
ابن الرومي : واقعية ٢ مثالية ٣ فكاهة ٣ حساسية ٤

ونقف قليلا لنعترض على تقدير « لن يوتانج » لعنصر الحساسية عند شلي وهايني وشكسبير ... إن الميزان قد اهتز في يد الكاتب الصيني اهتزازاً شوه معالم الذوق الأدبي السليم وجنى على حقيقة القيم الفنية عند الشعراء الثلاثة ؛ ذلك لأن رهافة الحس أو قوة الشعور عند الشاعرين الإنجليزيين لا يمكن أن ترق إلى مثيلتها عند الشاعر الألماني ... إن استكناه دخائل النفس واستشفاف حقائق الحياة شيء وتلقي الموجات الشعورية من أعماق هذه وتلك وصبها في انعكاسات تعبيرية شيء آخر ، وهذا هو الخلط الذي يبدو لي أن الكاتب الصيني قد وقع فيه حين نظر إلى عنصر الحساسية عند الشعراء الثلاثة ، وهو نفس الشيء الذي وقع فيه الأستاذ أحمد أمين بك حين نظر إلى ملكة السخرية في شعر ابن الرومي على أنها عنصر الفكاهة الذي يقصد إليه « لن يوتانج » إن هناك فارقاً كبيراً بين الفكاهة والسخرية من ناحية الدلالة اللفظية ، فقد يكون الكاتب أو الشاعر على نصيب وافر من روح المرح في إنتاجه الأدبي ثم لا يستطيع أن يبلغ هذا المدى في مجال السخرية ؛ السخرية التي تهدف أول ما تهدف إلى تناول مظاهر الحياة والأحياء بالتهكم اللاذع والتعريض المقذع والتجريح المرير ، وتستطيع أن تلمس هذا الفارق الكبير بين طابع الفكاهة وطابع السخرية في إنتاج كاتبين كبيرين هما مارك توين وبرناردشو ، ذاك في المجال الأول وهذا في المجال الأخير .

ثم إننا لو منحنا ابن الرومي على عنصر الفكاهة ثلاث درجات لأضفناه إلى قائمة الظرفاء من أمثال أبي دلامة وأبي العيناء ، وهذا هو الأمر الذي لا يستطيع التاريخ الأدبي أن يهضمه حين يضع في بوتقة النقد معادن الشعراء ... وإذا وافقنا على أنه يستحق

على عنصر الحساسية تلك الدرجات الأربع ، فإننا لا نستطيع أن نوافق على أن المتنبي مثلا يستحق على هـذا العنصر تلك الدرجات الثلاث

حرية الرأى العلمى بين طلاب الجامعة :

بالأمس شكا إلى طالب فى كلية الآداب ظلماً وقع عليه ، ظلماً يتمثل فى مظهر من المظاهر التى لا تتفق وطبيعة التعلم الجامعى كما يفهمه الجامعيون ، لقد فقد هذا الطالب الممتاز درجة امتيازه التى حصل عليها بجهده وعلمه لأنه أراد أن يكون جامعياً ، أى أن يكون حر الرأى مستقل النظرة فى بحث المسائل العلمية التى تعرض عليه فى صفحات كتاب وعلى لسان أستاذ ... وتتلخص قضية الطالب المظلوم فى أنه عارض آراء أساتذته فى ورقة الامتحان لأنه يثق بعقله إلى الحد الذى يحول بينه وبين الإيمان بكل ما يقال ، وذنبه أنه لا يريد أن يكون ذلك « الإنسان الآلى » الذى يردد بعض الحروف والأرقام دون وعى أو إرادة ، ومن هنا ضاق الأساتذة المصححون بتلك العقلية التى تنشد حرية الفكر واستقلال الرأى فحرم صاحبها درجة الامتياز !

هذه هى القضية ، وهى ليست قضية هذا الطالب وحده فيما أظن ولكنها قضية الألوف من طلاب الجامعة ، أولئك الذين يراد لهم أن يخرجوا إلى الحياة مزودين بأسلحة فكرية مفلولة لا تقرها النظم الجامعية فى العالم ... إن المفروض فى التعليم الجامعى أنه مرحلة ينتقل فيها طالب المدارس الثانوية إلى آفاق علمية جديدة ، جديدة فى مناهج البحث وطرائق التفكير وحرية التناول العقلى لشتى المشكلات العلمية والأدبية والفنية . فإذا ألغينا كل هذه القيم ليكون الطلاب أبواقا للأساتذة فقد قضينا على المثل العليا الفكرية التى ينشدها كل نظام جامعى قويم !

نحن لا ننكر أن بين جدران الجامعة أساتذة ممتازين ، ولا ننكر أيضاً أن بين تلك الجدران أساتذة يعلم الله أين يجب أن يكون مكانهم ... ولقد قلنا من قبل إن العبرة ليست بما يحمل المرء فى يده من شهادات ولكن بما يحمل فى رأسه من ثقافات ! وإذن فمن الظلم أن يحال بين الطالب المجتهد وبين حرية الرأى العلمى إذا أراد أن يجهر به ، وبخاصة إذا كان يتلقى معلوماته من هذا الفريق الأخير . لقد كنا ننتظر أن يظفر مثل هذا الطالب المجتهد بتقدير أساتذته بدلاً من أن يبوء منهم بمثل هذا الخذلان ، ولكن أساتذته غفر الله لهم قد نظروا إلى طبيعة عقليته الجامعية الأصيلة على أنها ضرب من الخروج على كرامة علمهم المنزور ... وفى سبيل هذه الكرامة المزعومة تلغى الكرامة العقلية فى حياة جيل جامعى ومن بعده أجيال .

لتكن الجامعة جامعة وإلا فلنعلن أننا ما زلنا نأخذ بنظام الكتاتيب ... إن وجه الشبه بين طالب الجامعة اليوم وطالب الكتاب بالأمس أن طالب الكتاب كان يئن تحت عصا الأستاذ إذا نسى منطق الترديد أو انحرف لسانه عن طريقة الببغاوات ، وأن طالب الجامعة يقف اليوم نفس الموقف وإن كان بلوغه مبلغ الرجال قد صرف عنه العصا وأحل محلها قلم الأستاذ فى أوراق الامتحان .

بقية الرسائل فى حقيبة البريد :

فى العدد (٨٤٦) من الرسالة كنت قد أشرت إلى أننى سأعرض بالتعقيب لبقية الرسائل التى تلقيتها من القراء فى العدد الذى يليه ، ولكن ضيق النطاق فى العدد الماضى قد حال بينى وبين هذه الأمنية ، وكذلك فى هذا العدد .. فإلى العدد القادم إن شاء الله حيث أعقب أيضاً على بعض الرسائل الجديدة .

أنور المعداوى

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

تأبين الصحفيين للمازني :

هنا في هـذه القاعة ، قاعة فاروق الأول بنادى نقابة الصحفيين ، كان المازني يؤبن الريحاني من نحـو ثلاثة أشهر ، وها قد أصبح هواليوم يؤبن... هذا هو ماجال بخاطري وأنا آخذ مكاني في القاعة قبيل ابتداء حفلة التأبين التي أقامتها نقابة الصحفيين يوم الثلاثاء الماضي لتأبين المغفور له ابراهيم عبد القادر المازني . وقد كانت كلمته — رحمه الله — خير ما قيل في تأبين الريحاني ، فقد أبرز فيها فن الريحاني ممثلاً في صوته ، وحلل ذلك تحليلاً دقيقاً كما ذكرت ذلك في حينه ، واليوم في هذا الحفل الذي يقام لتأبين المازني لم نظفر بكلمة دراسية وافية دقيقة لأدب المازني .

تحدث الأستاذ فكري أباظه بك نقيب الصحفيين والأستاذ محمد عبد القادر حمزة ، عن الفقيد من حيث مكانته في الصحافة وزمالته في النقابة ، وأثنيا على شمائله ، ومما قاله الثاني أنه وقف إلى جانبه في تحرير « البلاغ » في وقت لم يكن من الميسور فيه أن تستوفى الجريدة حاجتهـا من المحررين والمترجمين والمخبرين ، لأزمة وقعت فيها « البلاغ » إذ ذاك ، فجعل الأستاذ المازني من نفسه محرراً ومترجماً ومخبراً بالجريدة ، ودلل الأستاذ بذلك على تواضع المازني ومرونته قائلاً : إن ذلك لم يزده في نظرنا إلا رفعة قدر ، وإنه على هذا التواضع كان من أحرص الناس على كرامته . وقد نبه في آخر كلمته على ما يجب على النقابة والحكومة نحـو أسرة الفقيد التي ينبغي أن تشعر بنوع من عرفان الجميل .

وارتجل الدكتور محمد مندور كلمة عن مكانة الفقيد الأدبية ألمع فيها إلى مقال كتبه بجريدة البلاغ في « سخرية المازني » وقال إن هذه السخرية لم تكن حلوى تزجى إلى الجماهير إنما كانت عصارة نفسه ، كانت سخرية مرة يسوقها في أسلوب النكتة ، وكانت مرارتها مما لقيه في حياته ، فالكاتب في الشرق يجني من غرس القمح عشباً . وكان مع استهانته بكل شيء حتى نفسه ، يحرص على القيم الأخلاقية والاجتماعية ، وكان حين يكتب يعرف ما يقول وهو مالك زمام نفسه .

وألقى الأستاذ محمد الحناوي مرثية جيدة ، ولم يكن في حاجة إلى شاعر ينيبه كما قال :

أيها الراثون ، هل من شـاعر عنى أنيبـه
إنني ممـا دهـاني شـارد اللب سليبه

ثم أجهش الشاعر وهو يقول :

دونـكم دمعي فقد يغـ ـنى عن القول صبيبه
ليس غير الدمع ما يمـ ـلك من مات حبيبه

وألقى الأستاذ صالح جودت قصيدة مؤثرة ، تمتـاز بمعانيها الرقيقة الهادئة وأدائها الطبيعي الصادق .

وفي ختام الحفل وقف الأستاذ أحمد المازني شقيق الفقيد ، فألقى كلمة شكر فيها الحاضرين والنقابة ، وقال إنه يزجى هذا الشكر على ما جرت به العادة وإن كان فقيدنا هو فقيدكم ، وأنتم كما نحن أسرته .

ولعل من المفارقات أنه في الوقت الذي يشيد فيـه الخطباء والشعراء بفضيلة التواضع في المازني ، نرى أكثرهم يعمدون إلى شيء من إبراز الذات . فقد قال الأستاذ صالح جودت في قصيدته إنه كان يقصد المازني ويسمعه شعره فيثنى عليه ويشيد بشاعريته ، وقد يرخص للشاعر في الفخر ، ولـكن ما أظن ذلك لائقاً في الرثاء . وقال الدكتور مندور : إن أحد الوزراء أرسل إليه كتاباً أثنى فيه على مقاله عن المازني ، أو لم يكفه أن نشر هذا الكتاب في البلاغ ؟ وقال الأستاذ النقيب إنه عرض النقـابة على المازني فأبى لتواضعه وقال إن غيره أولى منه ... وقال الأستاذ محمد عبد القادر حمزة إن المازني كان زميلا له . فلماذا يكبر نفسه هكذا ؟ إنما كان المازني زميلا للمغفور له عبد القادر حمزة باشا .

ولم يعجبني ما أشار إليه الأستاذ صالح جودت في قصيدته ، والأستاذ محمد عبد القادر حمزة في كلمته ، من أن المازني تقـام له حفلة تأبين وتلقى في رثائه خطبة وتنشد قصيدة ، ثم ينسى كما نسى غيره — لم يعجبني هذا وإن كانا يقصدان إلى ما جرت عليه هذه البلاد من إهمال ذكرى أعلامها الراحلين ، فالمازني لا ينسى ، لأنه إن كان قد انتقل جسمه إلى عالم الفناء ، فقد انتقل اسمه إلى الخلود في تاريخ الأدب ، ولن يستطيع هذا التاريخ أن ينسى واحداً من هؤلاء الأساتذة الذين نقلوا الأدب في مصر وفي سائر العالم العربي من حال إلى حال .

غزل البنات :

هو الفــلم الجديد الذى عرض هذا الأسبوع بسينما استديو مصر ، فرأى فيه الناس نجيب الريحانى حياً بعد موته ، يبثه على الشاشة فنه الخالد ، فعاد يضحك الناس ويمتعهم بعد أن خالوا البكاء عليه آخر العهد به .

إن الريحانى هو عصب هذا الفلم « غزل البنات » ولولاه ما كان شيئاً ، فقد اشترك فى التمثيل به ليلى مراد ويوسف وهبي ، وأنور وجدى وسليمان نجيب وغنى عبدالوهاب ولكن هؤلاء قاموا بأدوار قصيرة ، ما عدا ليلى مراد فهى بطلة الفلم أمام الريحانى . وقد أقحم أكثر أولئك الأعلام فى الفلم لاستغلال أسمائهم ، كما سترى من عرض موضوع الرواية . ويخيل إلى أن انسجام الريحانى فى هذا الفلم من أسبابه أنه وضع له الحوار ، فضمنه فكاهاته الساخرة المعروفة ، وبعث به الحياة فى جسد القصة . ويقلل بعض النقاد من قيمة الحوار فى الأفلام السينمائية ، ذاهبين إلى أنها مناظر وصور أكثر منها كلاماً وحواراً ، وأنا لا أوافقهم على ذلك ، فإن الصور والحركة إذا كانت من أدوات التعبير فالحوار هو الأصل فى ذلك ، وهو ذو أهمية فى السينما كما هو مهم فى المسرح .

ليلى (ليلى مراد) بنت مراد باشا (سليمان نجيب) تلهو بالغناء والرقص وركوب الخيل ، وترسب بالامتحان فى اللغة العربية ، فيحضرون لها معلماً بائساً طرده ناظر المدرسة الأهلية التى كان يدرس بها ، وهو الأستاذ حمام (الريحانى) فيستقبله الباشا وابنته استقبالاً مهيناً فى أول الأمر لبعض الأسباب الناشئة عن الغلط وسوء التفاهم ثم يسترضيانه ويكرمانه ، وما يكاد يبدأ فى التدريس لليلى حتى تبدأ هى فى منازلته وإبداء حبها له وإحاطته بأسباب قوية من الإغراء ، فيستجيب لها فى تردد وتحفظ وإن كان قد أحبها فعلاً ويرى نفسه أخيراً قد وقع فى حرج من هذه العلاقة ، فيعتزم مبارحة الدار ، وكان الباشا قد أمر بإقامته فى القصر ، فتفاجئه ليلى وهو يهم بالرحيل ، وتمنعه وترغمه على مصاحبتها فى السيارة وقد أوهمته أنهما يفران معاً ، وتقف السيارة أمام مرقص تلتق فيه ليلى شاباً تحبه (محمود المليجى) وهو يريد الاحتيال عليها ، فيثور الأستاذ حمام محتجاً على هذا اللقاء ، فيطرد من

كشكول الأسبوع

◻ يفتتح مجمع فؤاد الأول للغة العربية دورته المقبلة يوم الاثنين ١٠ أكتوبر الحالى ، وسيحتفل فى جلسة الافتتاح باستقبال العضوين الجديدين الأستاذين أحمد حسن الزيات وابراهيم مصطفى . ويلقى الأستاذ فريد أبو حديد بك كلمة استقبال الأستاذ الزيات ، ويقدم الدكتور أحمد أمين بك الأستاذ ابراهيم مصطفى .

◻ كانت وزارة المعارف قد ألفت لجنة تحت إشراف الدكتور طه حسين بك ، لنشر كتاب « الشفاء » لابن سينا ، لمناسبة الاحتفال بذكراه الألفية . وقد تلقت الوزارة أخيراً من الدكتور طه أن المستشرقة دلفارنى أمينة المكتبة الأهلية بباريس ، لديها جزء من كتاب «الشفاء» مترجم إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادى ، وأنها تقوم بترجمته من اللاتينية إلى الفرنسية ، وأنها ترغب فى الحضور إلى مصر لتراجع الأصول المخطوطة وتعارض بها الترجمة ، على أن تحتمل جمعية المستشرقين نفقات سفرها ، وأن تيسر لها وزارة المعارف الإقامة فى مصر لمدة ثلاثة شهور . واقترح الدكتور طه الموافقة على ذلك بحيث يعتمد لنفقات إقامتها نحو مائتى جنيه ولم تبت الوزارة فى الأمر بعد .

◻ سيقضى الدكتور طه حسين فى لندن أسبوعين من ٨ أكتوبر الحالى ، ويلقى فى مدرسة اللغات الشرقية خلال هذه المدة ثلاث محاضرات باللغة الفرنسية : محاضرتين فى الشعر العربي وترجمته ، والثالثة موضوعها الثقافة الغربية فى الأدب العربى الحديث .

◻ أبدى الأستاذ فكرى أباظة لمعالى وزير الشؤون الاجتماعية ، رغبته فى أن يتعاون مع المسرح الشعبي ، وذلك بأن يمثل مع الشعبة الرابعة التى تعمل وزارة الشؤون على تكوينها ، فرحب به الوزير وعرض على الأستاذ زكى طليمات أن يشترك فى التمثيل مع الأستاذ فكرى بالشعبة الجديدة .

◻ ذكرت « الأهرام » أن المدير العام لتعليم البنات بوزارة المعارف ، يحتفظ بجزء من كتاب «إحياء العلوم» للغزالى ، يحتوى على وصف ما يجب أن تكون عليه ملابس المرأة المسلمة ، وذلك ليطبقه فى تنفيذ أمر معالى طه بدر بك وزير المعارف ، الذى يقضى بأن تكون ملابس الناظرات والمعلمات فضفاضة ومحتشمة .

◻ ذكر الدكتور زكى مبارك فى « الحديث ذو شجون » أنه تغزل بأبيات فى محامي خصمه بمحكمة أشمون ، وأنه أنشدها القاضى الذى أبدى خشيته أن يصير اسم المحكمة « محكمة أشمون الغرامية » .

◻ نشرت الفرقة المصرية إعلانات عن مسرحية « اليوم خمر » وفيها اسم يوسف وهبي بالخط العريض مع أنه لا يشترك فى تمثيلها ولا فى إخراجها ، وكل ما فى الأمر أنه المدير العام للفرقة !

◻ حصلت مصر من هيئة اليونسكو على بطاقات لشراء كتب من بلاد العملة الصعبة بمقدار ١٥ ألف دولار ، ولن توزع هذه البطاقات على الأشخاص أو المكتبات التجارية ، بل تستخدم أولا فى تلبية طلبات المعاهد العلمية والجامعات والمكتبات العامة لشراء كتب علمية وفنية وهندسية وطبية وقانونية . وستدفع الحكومة المصرية قيمة تلك البطاقات بالعملة المصرية .

الرقص . ونرى ضابط طيران (أنور وجدى وهو واضع قصة الفلم ومخرجه) داخلاً ، فيكلمه ويعرض عليه أن يدعى أنه ابن عم ليلى لينقذها من الشاب المحتال ، فيدخلان معاً ، وتحدث معركة يتدخل فيها الضابط فيضرب الشاب ويستنقذ ليلى ويركبها السيارة إلى جانبه ويغازلها ، فيحتج الأستاذ حمام الجالس خلفهما ويعمل على وقف السيارة وينزل بليلى هرباً من الضابط الذى أحب ليلى وأحبته . . ويريد الأستاذ حمام أن يضلل الضابط ، فيدعى أن المنزل المجاور هو منزل الباشا والد ليلى ، ويطرق الباب ويتبين أنه منزل الأستاذ يوسف وهبى بك (يوسف وهبى) فيستقبلهما الممثل الكبير ولا يلح فى معرفة السبب الذى من أجله طرقا بيته ليلاً ، بل يغازل الفتاة غير عابىء باحتجاج الأستاذ حمام ويقول لهما إن المطرب الكبير محمد عبد الوهاب موجود فى منزله وإنه سيغنى أغنية من قصة يضعها (يوسف وهبى) موضوعها تضحية المحب بحبه لإسعاد حبيبه . ثم يقصدون إلى حيث يغنى عبد الوهاب ، فيسمعون غناءه الذى يجرى فى موضوع التضحية بالحب فى سبيل إسعاد الحبيب ، فيتأثر الأستاذ حمام إذ يجد نفسه ذلك المحب ، فهو رجل كبير لا يُلائم ليلى التى أحبت ضابط الطيران الشاب ، ثم يقبل هذا الضابط ، فتراه يأخذ بيد ليلى وهى تهش له مقبلة عليه ، والأستاذ حمام خلفهما راضياً بالموقف على سبيل التضحية ، ومنظره الحزين هو النهاية .

بدأ الفلم بمناظر ممتعة وظريفة ، تخللها نقد اجتماعى فكاهى ، فهذا الأستاذ حمام يقف فى (الفصل) بين تلميذاته يطالعن موضوعاً عن الأسد ، فتسأله تلميذة : هل يتكلم الأسد ؟ فيقول لها : وزارة المعارف تريده يتكلم ! وهذا هو يدخل منزل الباشا ويحدث مربى كلب الباشا ومعلمه فيعلم أنه يتقاضى ثلاثين جنيهاً ، فيقول : إنه لو كان يعلم الكلاب من زمان لأصبح من الأغنياء . ثم تجرى الحوادث بعد ذلك فى نطاق خاص بين الأستاذ حمام وبين تلميذته ليلى التى صارت حبيبته . وعلى أى أساس قام هذا الحب رغم الفوارق الكبيرة بينهما التى أظهرُها تفاوت السن؟ تقول له إنها استظرفته وهى فى نفس الوقت تحادث الشاب الذى تحبه بالتلفون ، فتنتقل من منازلة هذا إلى ذاك ، وهى فتاة لاهية عابثة ، تذهب إلى المراقص وتجالس الشبان هناك وتشرب معهم وتراقصهم ، فليس مثلها بالذى يحب مثل الأستاذ حمام ، ولو لم تكن كذلك لأمكن أن نفهم أنها فتاة عاقلة تلمس فيه صفات إنسانية وتقدر شخصيته .

وظاهر أن المؤلف يرى إلى فكرة التضحية بالحب من أجل سعادة الحبيب ، وهى التى قال يوسف وهبى إنه يعالجها فى القصص التى يؤلفها ! والتى تضمنتها أغنية عبد الوهاب . ولكن هل تنطبق هذه الفكرة على موقف بطلى الفلم ؟ إن فكرة التضحية يمكن استساغتها إذا كان الحب من طرف واحد ، والطرف الآخر لا يجد هذا الحب ، بل يحب شخصاً آخر . ولكنا هنا إزاء اثنين يتبادلان الحب ، فانحراف أحدهما عن صاحبه بعد طول التهافت عليه ، يعد خيانة لا يستحق من أجلها التضحية الممزوجة بالرضى والغبطة لسعادته ...

والفلم ، رغم فخامة مناظره وما حشد فيه من ألوان المتعة ، مملوء بالمآخذ ، فقد ظهر الباشا أول ما ظهر على فرع شجرة ... لأنه يهوى جمع الأزهار ، وليس فى الشجرة أزهار ! ويظهر أنه قصد بهذا التمهيد لمقابلته الأستاذ حمام وهو يحمل سلتين ، فلا يعرف أنه الباشا ، فيحدث سوء التفاهم المضحك ... وليلى فتاة كبيرة ولم يقولوا فى أى مرحلة هى من مراحل التعليم ، ولكن من الدروس التى تتلقاها نفهم أنها لا تزال فى السنة الثالثة الابتدائية !

وحدث أن خرج الأستاذ حمام من غرفته إلى الحديقة ليستمع إلى غناء ليلى ، فينبحه الكلب ، فيتسلق الجدار إلى غرفتها هرباً من الكلب ، ويضطر فى الغرفة إلى تمثيل الكلب بالنباح مثله وهو مختف خلف قطعة من الأثاث ليدفع شك المربية فى وجود أحد ، فلم يكن تسلقه اضطرارياً لأنه كان يستطيع أن ينجو من الكلب الذى يعرفه لأنه مقيم بالقصر . وعند ما تدخل ضابط الطيران فى المرقص لإنقاذ ليلى بدعوى أنه ابن عمها وأنكرته هى ، صفعها وجرها من يدها إلى الخارج ، فركب بها السيارة ، ولم تنزل حتى كانت قد أحبته ، وكنا نسمع عن الحب من أول نظرة ، فهل هذا حب من أول صفعة ... ؟ ولا أدرى كيف دخل الضابط منزل يوسف وهبى دون أن يعلم به أحد . والفتيات اللاتى يرافقن ليلى فى ركوب الخيل ، كن يركبن الأفراس بطريقة مضحكة ، وكان يجب تدريبهن واختيارهن بحيث يتحقق المراد من المنظر وهو المظهر الجمالى .

أما يوسف وهبي فقد أقحم في الفلم إقحاما أو وضعت له فيه قطعة يظهر فيها ، ليقال إنه اشترك في التمثيل ، وهو يظهر باسمه الحقيق ، فيشبع ميله إلى العظمة الفنية التي تأبى إلا الظهور بمظهر المؤلف الذي يعالج الموضوعات في رواياته .

والأغنية التي غناها عبد الوهاب كانت فاترة وأحسن ما فيها عادي ، وكذلك موسيقاها ، على خلاف بقية ألحان الفلم وموسيقاه التي وضعها عبد الوهاب نفسه ، فهذه جيدة . وقد أجادت ليلى مراد في الغناء ، كما أجادت في التمثيل ، وإن كان أكثر الأغاني غير معبر عن مواقف الفلم ، بل هو يصلح في أي موقف !

إن الجهد الأكبر المثمر في هذا الفلم ، لنجيب الريحاني ، فقد قام عبء التمثيل عليه من الأول إلى الآخر ، ونهضت معه بهذا العبء ليلى مراد ، ولعل الريحاني هنا في خير أدواره على الإطلاق .

عباس خضر

البريد الأدبي

سلف ولا خلف :

كتب الأستاذ الكبير الزيات في رثاء صديقه المازني يقول: « فإذا أضيف إلى ذلك أن المازني كان أحد الكتاب العشرة الذين يكتبون لغتهم عن علم ، ويفهمون أدبها عن فقه ، ويعالجون بيانها عن طبع ، وأن هؤلاء العشرة البررة متى خلت أمكنتهم في الأجل القريب أو البعيد ، فلن يخلفهم في هذا الزمن الثائر الحائر العجلان من يحمل عنهم أمانة البيان ، ويبلغ بعدهم رسالة الأدب ، أدركنا فداحة الخطب الذي نزل بالأمة العربية يوم توفى هذا الكاتب العظيم » .

وهذا كلام سداه ولحمته الحق والإنصاف ، وإن كان يعبر عن خيبة الأمل في الجيل الناشيء ، ويصور الواقع المؤلم في هذا الزمن الثائر الحائر العجلان .

مات شوقي ، وتبعه حافظ ، فقال الناس خسرت مصر شاعرين عظيمين ، وليس فيها من يخلفهما ، ولكن هذا القول عز على بعض الشعراء ، وآلمهم . فراح المرحوم أحمد الكاشف يدفعه بقوة ، ويصيح :

قالوا قضى الشعر بعد الشاعرين ولم ... يعمر بمثلهما ميدانه الخالي

ولست وحدي له في مصر بعدهما ... فمصر ملأى بأشباهي وأمثالي

ولكنها كانت صيحة مكابر في الواقع المر ، ولم يجد هذا الشاعر في مصر كثيراً ولا قليلاً من أشباهه وأمثاله ، فإن مكان الشاعرين في ميدان الشعر ظل خالياً ، وازداد ميدان الشعر فراغاً بموت الجارم ومطران ، ولم تجد مصر من يشغل هذا الفراغ الهائل من شعرائها ، وكان أكثر هؤلاء الشعراء كالفقاقيع ساعة وجودها هي ساعة عدمها كما يقول الرافعي رحمه الله .

ومات الرافعي فقال المعجبون بفنه وعلمه ونبوغه ، قضى كاتب العربية ، وخلا مكانه في دولة الأدب ، وهيهات أن يكون منه عوض ، ولكن بعض القائلين رأى في تلاميذه ما يبشر بخير ، وما يقوي الأمل في أن يكون من الرافعي عوض ، لكن الزمن أيقظهم من أحلامهم اللذيذة ، وردهم إلى الحقيقة المرة ، ولم تظفر دولة الأدب العربي بخلف للرافعي العظيم .

في الشباب شعراء كثيرون ، وكتاب أكثر ، ولكن أين النابغة العبقري الذي تقول أنه سيخلف شوقي أو الرافعي ؟ !

نحن لا ننكر أن فيهم من يؤلف الكتب ، ومن يكتب المقالة ، ومن يقرض الشعر ، ولكن بين هؤلاء وبين شيوخهم في الأدب مراحل بعيدة الأطراف ، فليس فيهم من يكتب بأسلوب الزيات ، ولا من يؤلف بعقلية أحمد أمين ، ولا من يجود تجويد طه حسين .

على أن الداء الدوي في هؤلاء الشباب ، الغرور ، والادعاء ، والتنفج ، والتكذب ، وهو — في رأيي — ماعاقهم ، ويعوقهم ، من بلوغ الغاية ، والوصول إلى الهدف ، فإذا عاش المازني ومات ، متواضعاً ، خافض الجناح « وما كنت تراه يوماً ذاهباً بنفسه ، ولا متبجحاً بعلمه ، ولا مباهياً بعمله » كما يقول الزيات ، فإن عندنا من الشباب من هو عند نفسه (شاعر الدنيا) ومن هو (نموذج وحده في الآداب العربية ، وستظفر به الآداب إلى عليين)

وحسبنا أن ننظر فى ديوان هذا الشاعر الصغير الذى لم يسمع به إلا أصدقاؤه ، فنراه يقول :

قد صغت شعراً لو بعثت بدره للخلد لاستبقت إليه الحور
كم عــز آبده على طلابه وكم ابتغاه متوّج وأمير
لم تُنشِ أحرفه اللغاتُ وإنما صنع الجمال حروفه والنور

ولا نعـدم فى الكتاب كثيرين من أمثال هؤلاء ، فهذا الكاتب الصغير الذى لم تعرف الصحف اسمه إلا منذ شهور (أرسى قواعد النقد على أسس سليمة) وذاك الخامل المجهول (لا يتطاول النقد إلى آثاره) وهكذا غرور وادعاء ، ووقاحة ، وتخلف .

وفى الشبان طائفة لا يكتبون ، وإنما هم أصداء لبعض كتاب الغرب ، يفكرون بتفكيرهم ويكتبون بأساليبهم ، وينهجون منهجهم فى كل شىء ، فلا ترى لهم شخصية فيما يطالعونك به وإنما هم عالة على أولئك الكتاب ، ينقلون عنهم ، فيصرحون حيناً ، ويدلسون فى أحيان كثيرة ، ويخدع الناشئون بهم ، ويظنونهم من كبار النقاد ، ومن عباقرة الفن ، وكل مالهم من فضل — إن كان — أنهم يحتزقون على الشادين فى الأدب ويوهمونهم أنهم أساتذة الجيل ، وأن الكتاب جميعاً كبيرهم وصغيرهم يعترفون بفضلهم ويخطبون ودهم ، وفى الحق أنهم يفقدون صفة الحياء ، فهم يرفعون أصواتهم عالية بأنهم خلقوا للفن وخُلق الفن لهم ، فإذا ساء حظك وجلست معهم رأيت ما شئت من باب جهل قد فتحوه — كما يقول الجرجانى —

وإن تعجب فعجب أمر هؤلاء الشبان الذين قصرت خطاهم وطالت ألسنتهم ، فهم لا يزالون يدعون أن الطريق مسدود ، وأن هؤلاء الشيوخ هم الذين سدوه عليهم ، وما علموا — أرشدهم الله إلى الصواب — أن الجواد الأصيل يتخطى العقبات الكئاد ، ليصل إلى الغاية ، فإذا غلبته العوائق ، ووقف دون غايته رأى الناس فى وجهه وفى أعضائه وفى شياته ما يدل على أنه أصيل ، أصيل !

على الشبان أن يجاهدوا ، وأن يصبروا على لأواء الجهاد ، وعليهم ألا يتعجلوا الشهرة ، وألا تكون أ كبر همهم . ثم عليهم أن يسهروا الليالى الطوال يطالعون ويدرسون ويفهمون ، وعسى أن يكون فيهم بعد ذلك من يؤدى الأمانة ، ولو أيسر أداء ، أما إذا ظلوا على حالهم التى تراهم عليها ، يحاربهم الزمن ، ويعجل فإننا نترحم على دولة الأدب بعد هؤلاء العشرة ، أطال الله فى أعمار من بقى منهم ، وهدى الشباب إلى الجادة .

على العمارى

مسابقات مجمع فؤاد الأول للغة العربية لتشجيع الانتاج الأدبى سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ :

قرر مجمع فؤاد الأول للغة العربية توزيع جوائز لتشجيع الانتاج الأدبى على النحو الآتى :

أولا — تخصص مائتا جنيه لكل فرع من الفروع الآتية على أن يكون المتسابق من أدباء وادى النيل وحدهم .

(أ) قصة اجتماعية أو تاريخية ، جيدة الموضوع والأسلوب باللغة العربية الفصحى ، بحيث لا يقل عدد صفحاتها عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

(ب) إنتاج شعرى باللغة العربية الفصحى لا يقل عن ١٠٠٠ بيت من الشعر فى موضوعات متنوعة : فى الاجتماع أو وصف الطبيعة أو تحليل العواطف أو نحو ذلك .

(ج) بحث مستوفى مبتكر فى موضوع لغوى أو أدبى يسير على المنهج العلمى الحديث وتظهر فيه شخصية الباحث ، ولا يقل عدد صفحاته عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تنقص كلمات الصفحة فيه عن ١٨٠ كلمة .

ثانياً : تخصص لأدباء وادى النيل وغيره جائزة قدرها مائتا جنيه لمن يترجم لابن سينا ترجمة وافية دقيقة تصور حياته ونواحيه الفلسفية والعلمية والأدبية فى أسلوب رائق بحيث لا ينقص عدد الصفحات عن مائتى صفحة من القطع المتوسط الذى لا تقل كلمات الصفحة منه عن ١٨٠ كلمة .

وعلى الراغبين فى الحصول على هذه الجوائز أن يرسلوا إلى المجمع أربعة نسخ مطبوعة أو مكتوبة على الآلة الكاتبة كتابة

رسالة النقد

نظرات في كتاب الأشربة

للأستاذ السيد أحمد صقر

— ٧ —

٤٦ — ص ٧٦ : « ومن عجيب شأنهم أيضاً شربهم منه الغليظ الكاظ ، القبيح منظراً الردى مخبراً ، الذى نشوته سُدُد ، وعاقبته داء » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « السُّدُد : بضمتين العيون المفتحة لا تبصر بصراً قوياً . وهي عين سادة ، أو التى ابيضت ولا يبصر بها ولم تنفق بعد كما فى القاموس » .

والصواب : « الذى نشوته سدَر » والسدر كما فى اللسان : هو ما يُصيب شارب الخمر من الدُّوار وتحيُّر البصر .

٤٧ — ص ٧٧ : « وقال أعرابى :

صلى فأعجبنى وصام فرابنى نح القلوص عن المصلى الصائم

وقال آخر :

شمر ثيابك واستعد لقابل واحكك جبينك للقضاء بثوم
وامش الدبيب إذا مشيت لحاجة حتى تصيب وديعة ليتيم

ورواية البيت الأول فى العقد « صلى فأعجبنى وصام فراعنى » وقد رواه الجاحظ فى البيان والتبيين ٣ / ١١١ كما هنا ولكنه ذكر سبب قوله وهو : « نظر أعرابى فى سفره إلى شيخ قد صحبه فرآه يُصلى فسكن إليه ، فلما قال : أنا صائم ارتاب به وأنشأ يقول : صلى .. الخ » .

ولم يسم ابن قتيبة قائل شمر ثيابك ، وهو مساور الوراق كما ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين ٣ / ١١٥ ، ورواية البيت الأول عنه « واستعد لقائل » ورواية الشطر الأول من البيت الثانى

واضحة من الموضوع المقدم للحصول على الجائزة قبل أول أكتوبر سنة ١٩٥٠ .

وللمتبارين أن يذكروا أسماءهم أو يختاروا أسماء مستعارة ، وعليهم أن يكتبوا عنواناتهم واضحة وأن يوقعوا على كل نسخة يقدمونها .

ولا يجوز أن يدخل مسابقات المجمع الأدبية من سبق أن أجازه المجمع على إنتاج له فى فرع المسابقة المتقدم إليه ، ولا أن يعاد تقديم أى إنتاج أدبى سبق أن قدم للمجمع أو لأية مباراة عامة فى غير المجمع ، أو لمناقشة عامة للحصول على لقب أو درجة علمية .

ويشترط فى الموضوع المقدم لكل هذه المسابقات ألا يكون قد طبع قبل سنة ١٤٥ ، وسيحتفظ المجمع بنسخة من كل ما يقدم إليه من الإنتاج الفائز وغيره . وترسل الموضوعات بعنوان لجنة الأدب بمجمع فؤاد الأول للغة العربية شارع قصر العينى ١١٠ القاهرة .

أين مكتبة الأقصر ؟

استفهام انكارى يجول بخاطرى كلما استعرضت شؤون هذه المدينة العظيمة وبسطت بين يدى صفحاتها المشرقة وتأملت تاريخها الحافل بالمجد وذكرياتها المليئة بالفخار وإنى لأعجب كثيراً كيف تبقى هذه المدينة بلا مكتبة عامة يرتادها محبو العلم ويلجأ إليها الباحثون سواء أكانوا سائحين أم أبناء المدينة وسكانها ؟ وإذا كانت الحكومة تأخذ بكل الوسائل الممكنة لتجميل الأقصر وتحسين مناظرها فلا مندوحة إذا عن إنشاء مكتبة عامة بها لأن ذلك من ألزم وسائل تجميلها وهو عنوان على مبلغ حضارتها الحديثة وآية على سلامة شعور أهلها ومبلغ حسهم بالجمال الروحى ومدى تذوقهم لهذه المعانى السامية ولست أدرى والله لمن أتوجه بالرجاء لتحقيق هذه الرغبة ، وحسبى الرسالة وأثرها فى الرأى العام .

(الأقصر) على ابراهيم القنديلى

هكذا : « وعليك بالفتوى فاجلس عنده » ، وكذلك رواها أبو الفرج في ترجمة مساور ١٧ / ١٦٨ . قال أبو الفرج :

« مساور بن سوار بن عبد الحميد من آل قيس بن عيلان ابن مُضر ، ويقال : إنه مولى خُويلد من عذنان ، كوفى قليل الشعر من أصحاب الحديث ورواته ، وقد روى عن صدر من التابعين وروى عنه وجوه أصحاب الحديث

وقال لابنه يُوصيه :

شمِّر ثيابك واستعد لقائل … واحكك جبينك للعهود بثوم
إن العهود صفت لكل مشمر … دبر الجبين مُصفر موسوم
أحسن وصاحب كل قار ناسك … حسن التعهد للصلاة سؤوم
من حزب حماد هناك ومسعر … وسماك العتكي وابن حكيم
وعليكَ بالفتوى فاجلس عنده … حتى تُصيب وديعة لِتيم
تغنيك عن طلب البيوع نسيئة … وتكف عنك لسان كل غريم
وإذا دخلت على الربيع مسلماً … فاخصص شبابة منكَ بالتسليم

٤٨ — ص ٨٣ « وكان أيوب يلبس قلنسوة أفراب وقال : لأن ألبسها لعيون خير أحب إلىّ من أن أدعها لعيون الناس » .

وعلق الأستاذ على ذلك بقوله : « هكذا يدون نقط في المخطوطتين المصرية والبغدادية » .

ولو علم الأستاذ من هو أيوب لاستطاع أن يهتدي إلى وجه الصواب في هذه الكلمة . وهو أيوب السختياني ، وراجع ترجمته في حلية الأولياء ٣ / ٣ — ١٤ ، روى أبو نعيم عن حماد بن زيد قال : قدم أيوب من مكة فخرج إلى الجمعة وعليه كة أفواف فقيل له فيها فقال : قدمت ولم يكن عندي غيرها فلم أر بها بأساً وكرهت أن أدعها لأعين الناس » وفي النهاية : أفواف جمع فوف ، وهو القطن . وعلى ذلك فصواب العبارة « … قلنسوة أفواف وقال : لأن ألبسها لعيون الناس أحب إلىّ من أن أدعها لعيون الناس » راجع المعارف للمؤلف ص ٢٠٧

٤٩ — ص ٨٤ « قال حفص بن عتاب : كنت عند الأعمش وبين يديه نبيذ ، فاستأذن عليه قوم من طلبة الحديث فسترته ، فقال لي : لم سترته ؟ فكرهت أن أقول لئلا يراه من يدخل ، فقلت كرهت أن يقع فيه ذباب ، فقال لي : هيهات إنه أمنع [من ذلك] جانباً » .

والصواب : « قال حفص بن غياث » قال ابن قتيبة في كتاب المعارف ص ٢٢٢ « حفص بن غياث طلق . هو من النخع من مذحج ، ويكنى أبا عمر ، وولاه هرون الرشيد القضاء ببغداد بالشرقية ، ثم ولاه الكوفة فمات بها سنة أربع وتسعين ومائة … » وترجمته في طبقات ابن سعد ٦ / ٢٧٣ وتاريخ بغداد ٨ / ١٨٨

٥٠ — ٨٤ « وحضر ابن أبي الجوارى بالشام ، وكان معروفاً بالرقائق والزهد ، مائدة صالح العباسي مع فقهاء البلد ، فحدثني من حضر المجلس وهو البحتري بن عبد الله أنه بعث إليه بقدح من نبيذ فشربه ابن أبي الجوارى … » وابن أبي الجوارى : هو أبو الحسين أحمد بن أبي الجوارى من أهل دمشق توفى سنة ثلاثين ومائتين كما في رسالة القشيري ص ١٧ وأما البحتري ابن عبد الله فلم أعرف من هو وقد رجعت إلى العقد فألفيت فيه ص ٤/٣٤٣ « فحدثني البحتري عن عبادة وكان ممن حضر المجلس » ويخيل إلى أن الاسم محرف في الكتابين وأن صوابه « البحتري أبو عبادة » وقد كان البحتري معاصراً لابن قتيبة ، وكانت بينهما صلات ومراجعات وقد جاء في عيون الأخبار ٣ / ١٦١ « وقال بعض الشعراء المحدثين ، وقيل : إنه للبحتري ، فبعثت إليه أسأل عنه ، فأعلمني أنه ليس له :

فلو كان للشكر شخص يبين … إذا ما تأمله الناظر
لبيَّنتهُ لك حتى تراه … فتعلم أني امرؤ شاكر
ولكنه ساكن في الضمير … يحركه الكلم السائر

وبمناسبة ذكر « الرقائق والزهد » و « العقد » هاهنا أذكر أنها قد وردت في الطبعة الجديدة من العقد وشرحت بغير المراد منها . قال ابن عبد ربه ٥ / ٢٨٥ « ومن شعراء الفقهاء المبرزين عبد الله بن المبارك صاحب الرقائق » وعلق عليها الناشرون بقولهم « يريد الرقائق من نسيبه وانظر ما سيأتي من شعره » فإذا نظرنا في ص ٢٩٠ وجدنا فيها ما يلي : « ومن قول عبد الله بن المبارك ، وكان فقيهاً ناسكاً شاعراً رقيق النسيب معجب التشبيب حيث يقول :

زعموها سألت جارتها … وتعرَّت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تُبصرنني … عمركن الله أمْ لا يقتصدْ
فتضاحكن وقد قلن لها … حسن في كل عين من تود

الموالي في العصر الأموي

تأليف الشيخ محمد الطيب النجار

بقلم الأستاذ علي العماري

هذا كتاب ألفه الشيخ محمد الطيب النجار ، وهو رسالة قدمها لينل درجة الأستاذية في التاريخ الإسلامي .

ونحن يسرنا أن ينشر هؤلاء المتخرجون في قسم الأستاذية بالأزهر الشريف ، رسائلهم ، ولكن نحب وننصح ألا ينشر منها إلا الصالح للنشر ، وأنا أعرف أن في هذه الرسائل ما يعد في مقدمة المؤلفات المصرية ، عمقاً في البحث ، وسلامة في الاستنباط ، ونصاعة في الأسلوب ، ومع الأسف لم تظفر المكتبة العربية بشيء من هذه المؤلفات التي تشرف الأزهر والأزهريين ، وإنما أتيح النشر لبعض رسائل ليست أقوى تلك الرسائل بل ولا من أقواها ، وكنا نتمنى ، ولكن كما يقول البارودي :

ترى بصري من لا أود لقاءه ... وتسمع أذني ما تعاف من اللحن

وقد ترددت طويلا في نقد هذا الكتاب خوفاً من تقولات إخواننا وأساتذتنا من الأزهريين وستراً لما يبدو من بعض مؤلفينا من نقص في التفكير ، وضعف في التأليف ، ولكني – بعد التردد الطويل – رأيت من الواجب أن أنشر نقداً لهذا الكتاب ، حتى يكون نبراساً لمن يريد أن ينشر مؤلفه ، وحتى نبقي على سمعة الأزهر العلمية ، وحتى لا يقدم كل من تحدثه نفسه ، ويجد في جيبه الساعدة على النشر أن ينشر ، بل يجب أن يتريث وأن يتريث طويلاً قبل أن يقدم ، فإن الناس لهم عقول ناقدة ، وعيون مبصرة .

وقد رأيت أن أبدأ بنقد شكلي أرفه به عن القراء ، وإن كنت أعتقد أنه ضرورة ، وأنه ربما كان فيه نفع كثير ، وسأبدأ بنقد الكتاب من غلافه ، فإذا انتهيت أخذت في نقد موضوع الكتاب ، وأرجو أن أهيء ذهن القارىء بهذا النقد الهامشي إلى ما يأتي بعده من نقد جدي في صميم الموضوع ، فلعل أعون شيء على الجد ما يصحبه من بعض الهزل .

في أعلى الغلاف كتب المؤلف هذه العبارة (صفحات من تاريخ الصراع بين العصبية والدين) ثم ذكر عنوان الكتاب ، والذي أعرفه أن هذه الكتابات الجانبية إنما هي من (تقليعات) كتاب المقالة ، ونظام الشعر من المحدثين ، أما المؤلفون فإنهم يكتفون بذكر عنوان الكتاب في وسط الغلاف ، ويرون في هذا بلاغاً ، على أن هذا التعبير لا ينطبق على حقيقة الكتاب ، فليس

حسداً حملنه من شأنها ... وقد كان في الحب الحسد »

ولم يعلق الناشرون على هذا بشيء وكان خليقاً بهم أن يفعلوا فإن هذه الأبيات ليست لابن المبارك وإنما هي لعمر بن أبي ربيعة من قصيدة مشهورة مطلعها :

ليت هنداً أنجزتنا ما تعد	وشفت أنفسنا مما تجد
واستبدت مرة واحدة	إنما العاجز من لا يستبد
ولقد قالت لجارات لها	وتعرت ذات يوم تبترد
أكما ينعتني تبصرنني	عمركن الله أم لا يقتصد
فتضاحكن وقد قلن لها	حسن في كل عين من تود
حسد حملنه من أجلها	وقديماً كان في الناس الحسد

وللقصيدة بقية تجدها في ديوانه ص ١٤٦ وأما شرح الناشرين للرقائق بأنها رقائق النسيب فإنه شرح بعيد من الصواب ، والرقائق جمع رقيقة وأصلها الأحاديث التي ترقق القلب وقد أفردها البخاري في صحيحه بكتاب سماه كتاب « الرقائق » قال ابن حجر في فتح الباري ١١ / ١٨٠ « والرقائق والرقاق : جمع رقيقة ، وسميت هذه الأحاديث بذلك لأن في كل منهما ما يحدث في القلب رقة ... » وقال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١٠ / ١٦٧ « ولابن المبارك كتاب اسمه الزهد والرقائق . قال نعيم بن حماد كان ابن المبارك إذا قرأ كتاب الرقائق يصير كأنه ثور منحور من البكاء » وقال أيضاً في ترجمة ابن أبي الدنيا ١٠ / ٨٩ « صاحب الزهد والرقائق » وقال في ترجمة ابن الخبازة الشاعر ٥ / ٤٢٥ « وله شعر كثير في الزهد والرقائق » .

(يتبع)

السيد أحمد صقر

موضـوع الموالى من موضوعات الصراع بين العصبية والدين ، وإلا ففى أى نفوس كان هـذا الصراع ، أفى نفوس العرب ؟ فما نعرف أن الذين قسوا على الموالى من الأمويين أو من غيرهم كانوا يجدون فى أنفسهم صراعاً بين الدين والعصبية ، وإنما كانوا يعتقدون أن العرب أفضل من الموالى دينا ونسباً ، وأن هؤلاء الموالى يحاولون القضاء على الإسلام ، لو مد لهم الحبل ، ووطئت لهم الأكناف ، فمن الإسلام أن يضرب على أيديهم ، وأن يحال بينهم وبين ما يبتغون ، ونعد الشـوط فنقول أن بعض العرب كانوا يقسون على الموالى صادرين عن عصبية عربية ، وهؤلاء فيما نعتقد ونؤكد لم يكونوا يشعرون بسلطان الإسلام على نفوسهم حتى تكون هذه النفوس ميداناً للصراع بين العصبية والدين . أم كان هذا الصراع بين الموالى والعرب وهؤلاء متعصبون وأولئك متدينون ؟ فقـد أخطأ المؤلف التوفيق ، فإن دفاع الموالى عن أنفسهم ، وتحينهم الفرص ، وتربصهم الدوائر بالعرب لم يصدرشىء من ذلك عن تدين فى نفوسهم ، بل كانوا يصرحون بأن أصولهم وأنسابهم وماضيهم لا تتضاءل أمام أصـول العرب وأنسابهم وماضيهم ، وإن كان للعرب ماض يفخرون به ، بل كانوا يرون أنهم أنقى جوهراً ، وأعرق مجداً ، والمؤلف نفسه يصرح بهذا المعنى فى غير موضع من كتابه ، فالصراع إذن إنما كان بين عصبية فارسية ، وعصبية عربية ، حتى الذين تذرعوا بالدين وحاربوا به الأمويين لم يكونوا يحاربون العصبية العربية ، وإنما كانوا يحاربون الأمويين لأنهم اغتصبوا الخلافة من الهاشميين ، وهم أحق بها ، ومعروف أن المظهر الدينى فى محاربة الأمويين إنما كان يخفى وراءه عصبية فارسية قاسية ، وحقداً أعجمياً عنيفاً . وعنوان الـكتاب نفسه أضيق مدلولا ، وأقصر ذيلا عن موضـوع الـكتاب . فالذى يرى العنوان يظن أن المؤلف قصر بحثـه عن حال الموالى فى عصر الدولة الأموية ، ولكن الذى يجد فى نفسه الرغبة ، فيقرأ الـكتاب يجد المؤلف تحدث عن الموالى منذ قيام الإسـلام وأفاض فى ذلك ، فقد تحدث عنهم فى عهد أبى بكر وعمر وعثمان وعلى حـديثاً مستفيضاً ، بل تمدى ذلك إلى العصر الجاهلى ، وإن كان اختصر فى هذا البحث ، وكان المؤلف — لو نُبِّه أو تنبه — أن يجمل عنوان الـكتاب (الموالى فى العصر الإسلامى الأول) أو ما أشبه هذا العنوان مما يكون شاملا لـكل موضوعات الـكتاب ، وإلا فأى مبرر لأن يقصر العنوان على العصر الأموى فى حين أن ما ذكره عن الموالى فى عهد أبى بكر وعمر لا يقل استيعاباً عما ذكره عنهم فى العصر الأموى ؟.

ثم كتب المؤلف تحت العنوان (بقلم محمد النجار الحائز لدرجة الأستاذية فى التاريخ الإسلامى ، وأستاذ التاريخ بالأزهر الشريف) ونحن نحب أن نقف معه قليلا عند (الحائز) ونسأله كيف عداها باللام مع أن الفعـل متعد بنفسه ، فـكان الأحسن أن يقول : الحائزدرجة ... ألخ فإذا تسامحنا وقلنا إن اسم الفاعل فرع فى العمل ، وأنه لذلك ضعيف فلا بأس أن نأتى باللام تقوى فعله وتشد أزره ، فـلا نتسامح مع المؤلف فى تركه الأفصح فى عنوان كتابه حتى لا يعطى للقارىء فى بادىء الأمر فـكرة غير جميلة عن إيثاره للضـعيف أو غفلته عن قواعد اللغة . على أن يقينى أن المؤلف لم يدر بخلده أن ذلك جائز . وإنما انساق مع عوام المؤلفين .

(يتبع) علي العماري



العالم الذي نعيش فيه

تأليف جرترود هارتمان

تعريب الأستاذين عثمان نويه ومحمود حامد شوكت

بقلم الأستاذ ثروت أباظه

كتاب يعرض الجهود العبقرية التي بذلها أجدادنا الأولون حتى أهدوا إلينا هذا العالم الذي نمرح بين جنباته اليوم، لا يقف في سبيلنا وعر أو موج أو ريح. ولا شك أن المترجين قد أحسنا الاختيار حين وفقا إلى هذا الكتاب. ومما يعد ذلك قد ترجماه في لغة سهلة ميسورة عربية صريحة لا ضعف فيها ولا كلفة. وقد كانا بارعين في هاته الترجمة إلى درجة تحس معها أنهما إنما يؤلفان لا يترجمان. وإن في الكتاب مقياساً عادلاً لحبكة الترجمة فقد لاحظ الأستاذ عثمان نويه أحد المترجين وكاتب المقدمة، لاحظ أن الكتاب الإنجليزي لم يلتفت إلى الحضارة الإسلامية وما طلعت به على العالم من تقدم. فعقد لها فصلاً لو لم يعترف الأستاذ عثمان في مقدمته أنه هو الذي أضافه، لاعتبره القارىء من أحسن فصول الكتاب جميعاً. فإن فيه إجمالاً تاريخياً كاملاً، وعرضاً لما دعمته الحضارة الإسلامية من أسس في حضارة العالم. كل ذلك في صفحات قلائل، تطالعك فيها المعلومات في حشد هائل، يقفو بعضه بعضا وهي مع ذلك مبسوطة في يسر، تعريك بنفسها فتكاد لا تحس بما ينسرب إلى ذهنك من حقائق كانت جافة، جرى عليها قلم نويه، فسكب فيها الماء يندبها ويرسلها إلى ذهنك في لطف القصة الشائقة.

والكتاب كله يترقرق بهذه المائية في عرضه. فأنت مرتاح لما تقرأ دائماً، مقبل عليه في لذة. وتمتاز مؤلفة الكتاب بخاصية عجيبة، تدرك بها أين يمل القارىء، فهي منتقلة به إلى الجديد، فتجدد عنده حب المتابعة. وهكذا تظل به واثبة من عصر إلى عصر، ومن تقدم إلى تقدم.

وإنك لتلمح في الكتاب ظلاً واسماً لفنانة مخلصة، تتتبع نشأة الفن تتبعاً دقيقاً، فتراها تلقي ضوءاً باهراً على آثار الفن في حياة الأجداد، ثم الأبناء فالأحفاد. كما تبين المصادر الأولى التي انبثق الفن من بينها. فكانت تركن حيناً إلى الحقائق التاريخية، فإن انتقدتها وفقدتها عمدت إلى خيالها، وتصورت الأسباب التي نشأ عنها كل فن من الفنون. ولكن يبدو أن الكاتبة ليس لها ولع كبير بالموسيقى، فقد اكتفت بأن ألمت إليها في عجالة يسيرة. وقد صورت الكاتبة حياة الإنسان الأول، بل صورت الحياة الأولى كلها، وكيف كان العالم، ثم كيف تطولت فيه الجبال الشم، وكيف انفرجت الأرضون فيه عن البحار والمحيطات؛ ثم تنتقل بعد ذلك إلى الحيوانات وبدء خلقها، وكيف تشكلت كل منها لقوائم الحياة التي تعيش فيها، ثم كيف جاء الإنسان بعد هذا وتسلح بعقله ليقابل الأسلحة التي سبقه بها الحيوان الذي تقدمه في الظهور، واستطاع أن يشكل نفسه بما يبقى عليه. حياته. ولكن الكاتبة تريك أن سلاح الإنسان كان أفتك وأشد قتلا، وأنه به استطاع أن يعيش، ويصل إلى ما هو عليه يتتبع الكتاب ما أحدثه هذا السلاح من تغير العالم، وتظل تتابعه في رشاقة وخفة، حتى تصل به إلى منتهاه، فترى الكاتبة وقد هالها ما فعل السلاح من أعمال مجيدة، ثم هي تقف إليه رانية إلى مستقبله في خشية؛ فتراها تحذره مغبة التقدم إذا كان إلى شرها وقاء. وترى الكاتبة تتساءل عما سيفعله الإنسان بعد أن هيأ لنفسه هذا الفراغ العريض، وبعد أن أرسل الآلات تأخذ مكانه في كل عمل يقوم به. تتساءل ترى أيرد الجيل الحاضر جميل الغابر — يرده بالخير والبركة على الأحفاد، أم تراه سيتقدم ليقذف كل عود يستوي إلى أتون من الظلم، فينصهر الشباب، وتنحطم الآمال، وتتواكب الظلمات من عقول آسنة لا هم لها إلا الخراب والتدمير. تخاف الكاتبة، فتناشد قومها — والعالم كله قومها — أن يملئوا فراغهم بالفن، فهو سبيلهم إلى التحرر من الحيوانية، وهو سبيلهم إلى التحرر من الآلية، وثمة الرقي إذا ارتقاها الإنسان فقد ارتقى.

هكذا تفكر كاتبة الغرب، فهل قرأ الغرب أفكار ابنته؟ وإذا كانوا، أتراهم بها سائرين؟ إلا فليتقوا الله في إخوانهم من بني الإنسان. وليتقوا الله في آبائهم العباقرة. وليتقوا الله في هذا العالم الذي نعيش فيه.

ثروت أباظه



متى يعـــود بابا ؟!

للأستاذ شـــاكر خصباك

وأخيراً تحققت أمنيتي بالسكنى في ضاحية «مصر الجديدة». كنت قد زرتها مرة وأعجبت بأبنيتها المتشابهة الطراز والألوان، وسحرت بشوارعها النظيفة الهادئة. وتلك صفات لا تتوفر في «باب اللوق» الذي أقطن فيه. قصدت إلى «مكتب السماسرة» وعرضت على الموظف المختص شروطي. نقر الموظف على المنضدة متأملاً، ودس قلم الرصاص في شعره يعبث به مفكراً، ثم رفع رأسه وقال متسائلاً: غرفة هادئة في «شقة» تسكنها أرملة قبطية توفى زوجها منذ شهر مخلفاً بنتاً في السابعة من عمرها، والايجار خمسة جنيهات شهرياً ... أتعجبك ؟!

— إتفقنا.

ونقلت متاعي إلى المنزل الجديد. وعلى بابه وقفت امرأة وطفلة. المرأة في مقتبل العقد الثالث متوسطة القامة على شيء من البدانة. عيناها السوداوان جميلتان، وكذلك أنفها الأقنى الصغير، لكن فمها يميل إلى الاتساع، والطفلة جميلة مرحة ذات وجه بشوش وهيئة ضاحكة.

— سعيدة.

— سعيدة! أهلاً وسهلاً.

واجتزت الباب يتبعني الحال. تلفت ورائي فرأيت الطفلة ترسل إلى نظرات فرحة. ابتسمت لها فقفزت نحوي وتعلقت بأذيال سترتي. ثم رفعت إلى وجهها الضاحك وهتفت جذلة:

— أنت طويل مثل بابا.

— صحيح ؟!

وامتدت يدي إلى رأسها تلاطف شعرها في حنان. وفجأة انطلقت كالقذيفة. انحنيت على حقائبي أفرغ محتوياتها في الصوّان والمكتب.

— يا أستاذ ... يا أستاذ ...

سمعت صوت الطفلة فتحولت بأنظاري إلى الباب أرقبها في شغف. تقدمت نحوي تتعثر في مشيتها وذراعاها تنوءان بحملها. «عروسة» عاجية وحصان خشبي وسيارة صغيرة، وضعتها على الأرض في عناية وشرعت تناولني واحدة بعد أخرى في زهو واعتزاز. قلت وأنا أقلبها بين يدي في إعجاب:

من أهدى إليك هذه اللعب الجميلة ؟!

فلمعت عيناها ببريق الغبطة وهتفت في حماس: بابا اشترى لي هذه اللعب كلها ... بابا يحبني كثيراً.

فربتّ على خدها في لطف وقلت: طيب ... غداً سأشتري لك لعبة جميلة.

فتطلق وجهها وبان السرور في عينيها وهمست في مودة: أنت تحبني كبابا.

ربما! ... وبمضي الأيام اشتدت محبتي لها. ما سبب تلك المحبة ؟! الله أعلم. قد يكون مبعثها رثاء لطفلة يتيمة الأب. قد يكون مصدرها إعجاب بروحها الأليفة، روح يفيض حيويته على البيت فيملؤه بهجة وحركة ونشاطاً.

وفي كل مساء كنت أخرج إلى شرفة الدار وأتمدد على مقعد الراحة، «المترو» يزفر في الشارع تحتي كأنه يضيق بحمله. وكساري «الترام» ينفخ في زمارته بملل، ونفير السيارة يدوي بين حين وآخر، والناس يروحون ويجيئون، وفريدة تقبل علي قفزاً بصحبة دُماها لتسألني مشاركتها في اللعب كعادتها كلما رأتني منفرداً في الشرفة.

— هالو! فيق.

وكومت لعبها على الأرض وتربعت إزاءها. ثم شرعت تملأ السيارة الصغيرة. وفجأة توقفت يدها عن الحركة وبدت كأن أمراً يشغل بالها، ماذا يقلقها ؟! رفعت عينيها إلى وسألتني في استعطاف.

— هل تشترك معي في اللعب عندما يعود بابا ؟! سنلعب ثلاثتنا معاً.

سرت فى جسدى رعدة خفيفة وأنا أحدق فى وجهها البرىء وأصغى إلى سؤالها الساذج ، ألا تعلم بموت أبيها ؟! وسمعت لسانى يهمس فى تردد : حسناً ، سأفعل .

صفقت فرحة وهرعت إلى غرفة أمها وتركت السيارة الصغيرة تدور حول نفسها ، وترامى إلى مسامعى صوتها وهى تسأل الأم فى لهفة : ماما ... متى يعود بابا ؟!

تأخر صوت الأم فى الرد ثم تناهى إلى يغمغم فى بطء : قريباً إن شاء الله يا فيفى .

وظهرت أمامى ثانية (تتنطط) كالعفريت !

— بابا سيعود قريباً من الأسكندرية وسنلعب ثلاثتنا معاً .

— إن شاء الله .

قضيت تلك الأمسية موزع النفس بين شتيت من العواطف والأحاسيس ؛ ألم وسخط وضيق وحزن . ثم أوت فريدة إلى فراشها فانطلقت إلى الأم .

— ألا تعلم فريدة بموت أبيها المرحوم؟!

سألت الأم ، فأجابتنى بنغمة كئيبة تفيض بالحزن والألم :

كلا . لقد بعثتها إلى بيت عمتها فى «المنصورة» أثناء مرض أبيها ، ولما توفى استدعيتها ثانية وزعمت لها أنه سافر إلى الأسكندرية لمهمة تتعلق بعمله .

وقرأت معانى التوسل العميق فى عينيها وهى تضيف قائلة : أرجو أن تساعدنى على إخفاء الحقيقة عنها ، فهى تحب أباها حباً عظيماً ، وأخشى أن تصيبها صدمة نفسية إن اكتشفت الحقيقة .

فى هذه المرة أدركت لماذا تضاعف حبى لها واشتد شغفى بها . وكالنهر حين تزدحم مياهه فتتدفق على جوانبه فاضت عواطفى على فريدة . فيفى ، إحتفظى بعلبة الشيكولاتة لك وحدك ... فيفى ، أعطينى قبلة فى عينك . . . فيفى ، أتعجبك هذه العروسة الصغيرة ؟! فيفى ، هيا نلعب لعبة القط والفار .. فيفى ، سأصحبك غداً إلى مدينة الملاهى .

وسارت الحياة ، وانطوى الزمن ، وبدأت الأم تتخلى عن تحفظها شيئاً فشيئاً وتتقرب إلى . إشتركنا أول الأمر فى عاطفة واحدة ؛ حب فريدة . ثم تطور الاشتراك فى العواطف وتمددت جلساتنا وطال انفرادنا . فى الأسبوع الأول راحت تنتهز فرص غيبة فريدة لتجلس إلى وتحدثنى عن موضوع يتعلق بزوجها مبتدئة بعبارة تقليدية : لقد كان مثال الزوج المخلص رحمه الله . . الحمد لله الذى عوض فريدة بشاب مثلك يعوضها من حنان أبيها ومحبته

وفى الأسبوع الثانى تحررت من قيد البيت فتأبطت ذراعى وهمست فى حياء : هيا بنا يا سى زكى نقضى الأمسية فى أحد المقاهى .

وفى الأسبوع الثالث ، فى عصر ذلك اليوم دعتنى إلى السينما قائلة : فى سينما «كايرو بالاس» فلم ممتاز لتيرون باور... فلنشهده هذه الليلة يا زكى .

وعدنا فى الساعة العاشرة والدار يغمرها الظلام وفريدة والخادمة الصغيرة نائمتان أو المفروض أنهما نائمتان . خلعت بدلة السهرة واستبدلت بها لباس النوم . ودسست جسدى بين طيات الفراش فتناهى إلى صوت فريدة تسأل أمها فى ضيق وقلق : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وجمجم صوت الأم فى تردد وبطء : قريباً إن شاء الله يافيفى .

خيم الصمت لحظة ثم ارتفع صوت فريدة فى لهجة المرتاب : ولكن متى يعود ؟! فى كل مرة تقولين قريباً ، وأنتظره فلا يعود!

— سيعود قريباً يا فيفى وسيجلب لك هدايا كثيرة . والآن يجب أن تنامى وإلا فإنه لن يحبك إذا علم أنك ظللت ساهرة حتى هذا الوقت المتأخر .

حل السكون ثانية فأغمضت عينى ومشاعر الألم والسخط والضيق والحزن تمور فى صدرى . إلى متى يستمر جهلها بمصير أبيها ؟! إلى متى يدوم تضليلها ؟! ما أحوجها إلى محبة تعوضها حنان أبيها وتلقى على ذكراه رداء النسيان .

فى اليوم التالى ابتعت لها (عروسة) كبيرة ذات عينين تُفتحان وتُغلقان كلما تحرك جسدها .

— فيفى ... تعالى هنا أنبئك بهدية ظريفة .

دقيقة ودقيقتان وثلاث ... لماذا تأخرت ؟! ثم ظهرت على عتبة الغرفة تخطو فى تمهل وتردد .

— خذى هذه (العروسة) يا فيفى . . أتعجبك ؟

وحدقت فيها مليًّا والتردد يشيع فى صفحة وجهها النقية ، حركت الدمية يميناً وشمالاً فانفتحت عيناها وأغلقتا . وفى لمح البرق اختطفتها من يدى وعدت خارج الغرفة .. ماذا أصابها ؟! خرجت وراءها مذهولاً فماجلنى بكاؤها منبعثاً من غرفة الاستقبال ، مددت رأسى من الباب فرأيتها منبطحة على الأريكة ورأسها مدفون بين الوسائد والدمية مضمومة إلى صدرها ، تهافت على الأريكة بجانبها وصرت بيكفى على شعرها فى حنان وأنا أهمس فى رقة :

— لا تبكى يا فيق .. ما الذى يضايقك ؟ !

فرفعت إلى عينين مخضلتين بالدموع ودمدت بصوت مخنوق وهى تشهق : ألا يعود بابا ليشترى (عروسة) كهذه ؟

— بالطبع سيعود يا فيق .. سيعود بعد أيام قليلة .

ولم يعد الأب بعد أيام قليلة ، وأصبحت فى مقامه لدى الأم . اليوم نخرج إلى المنتزة وغداً إلى المقهى وبعد غد إلى السينما ، وفى (كازينو سفير) نالت إعجابنا مائدة منزوية فى الزاوية اليسرى المطلة على شارع عثمان بن عفان ، واعتادت فريدة أن تمر على رصيف هذا الشارع بصحبة الخادمة الصغيرة فى طريقها إلى منزل عمتها فترانا منهمكين فى الحديث أو الضحك . وتتوقف قليلاً وترمقنا بنظرات جامدة وتواصل سيرها مكفهرة الوجه . ثم تلتفت نحونا مرة ومرتين وثلاثاً حتى تختفى عن أنظارنا ! .

وأصبحت فريدة اليوم غيرها بالأمس ! كل شىء تغير فيها . أضحى الصمت طابعها المميز والكآبة سمتها الدائمة ! واختفى الضجيج والمرح من البيت ، وخيم عليه جو من الكآبة الثقيلة . فيق ، لماذا لا تضحكين ؟! فيق ، لماذا لا تجرين فى ساحة الدار ؟! سلبت البيت بهجته ونشاطه ؟!

وتحمل فريدة لعبها وتتخير ركناً منعزلاً وتنفرد بها وتمضى الوقت معها فى صمت ، وأقبل عليها ضاحكاً وأهتف مرحاً : أتسمحين لى بمشاركتك فى اللعب يا فيق ؟

وتجمع دماها فى هدوء وتنسل إلى غرفتها فى سكون ... لماذا أضربت عن مشاركتى فى اللعب ؟ ما الذى يبعث فى نفسها الكآبة والصمت ؟ !

وفكرت هنيهة . دمية جميلة تعيد علاقتنا إلى صفائها . واشتريت (عروسة) كبيرة من الجبس تضع على رأسها طرطوراً وتجلس فى هيئة المتأمل ؛ الرأس بين الكفين والمرفقان على الركبتين

— فيق ... اشتريت لك (عروسة) عظيمة ... تفضلى

— لا أريدها .

ولبثت ترنو إليها فى جمود دون أن تمد إليها يداً .

— كونى عاقلة يا فيق . خذيها .

— قلت لك لا أريدها .

وانفلتت ذاهبة ، ثم عادت بعد حين . نظرت إليها مشدوهاً وهى تكوم أمامى اللعب التى أهديتها إليها ووجهها عابس وشفتاها ملتويتان . واستدارت لتعود أدراجها فتشبثت بذراعها .

— ماذا بك يا فيق ؟ ! لماذا خاصمتنى ؟ !

حاولت أن تتملص من قبضتى فخابت ، وعندئذ انفجرت بالبكاء . وصرخت فى غضب حزين :

— أنت كذاب . أنت لا تحبنى ... وأنا لا أحبك أيضاً . أنا أحب بابا . سيعود بابا وسيضربك أنت وماما .

وتركت قبضتها مذهولاً فرقت من الباب كأنها تفر من سجن : وتحولت إلى كوم الدمى أرقبه فى لوعة وأسف . ما الذى غير قلبها على ؟ ! وما شأنى فى الأمر إن كان غياب أبيها مصدر لوعتها ؟! ولماذا باتت تحس نحوى بهذا النفور الشديد ؟ !

وأصبح مرآى يثير الاشمئزاز والكراهية فى نفسها ، ما تكاد عينها تنالنى حتى تفيض بنظرة مقت . وتتقلص ملامح وجهها ويغمره فيض من عواطف البغض . وبدأت تعيش كالغريبة فى الدار . ما تكاد تعود من مدرستها حتى تلجأ إلى غرفتها لتناجى لعبها فى صمت . ولم تعد تسأل أمها عن أبيها ، وأخذت تمضى معظم ساعات النهار فى بيت عمتها ، فأمسى المنزل كئيباً موحشاً . واقتنعت بتلك اللحظات القصيرة التى تهيأ لى فيها رؤيتها حين تجلس إلى مائدة الفطور . وفى تلك الدقائق كانت تثبت عينيها المتألقتين ببريق الحقد على وجهى وتتأملنى فى وجوم . حاولت مرة أن أحدق فى عينيها لأستشف من ورائهما ما يدور فى فكرها . ولشد ما دهشت حين قفزت من مقعدها فى صمت وحملت كوب

الشاى وانسلت إلى غرفتها بهدوء . وجرت أمها خلفها لتعيدها إلى مقعدها فواجهتها بالصراخ والنحيب حتى أفلحت فى الذهاب . وصار من المألوف أن تسبقنى إلى الفطور ، فإذا رأتنى مقبلاً على المائدة تركت الفطور واختفت فى غرفتها بسكون .. لماذا تكرهيننى يا فيفى ، لماذا ؟ !

ودب النحول فى جسمها وغمر الشحوب وجهها وانطفأ بريق عينيها سوى بصيص من الحزن والمقت . والأم حزينة لحال ابنتها مسرورة بحبها الجديد . أنا مهموم محزون لا أدرى ماذا أفعل وكيف أستعيد محبة الطفلة . ثم حدث أن عدت من (السينما) ذات مساء فى الساعة الثانية عشرة والنصف بصحبة الأم . فتحت الأم الباب فراعنا أن تبصر فريدة منطرحة على أحد مقاعد الصالة فى وضع مهمل ، إتجهت إليها الأم وهزت جسدها فى رفق فهبت من رقادها تصرخ فى جنون . وحملتها الأم بين ذراعيها فى اضطراب ، لكنها انطلقت ترفس الهواء برجليها محاولة التملص منها

— ماذا بك يا فيفى ؟ ... لماذا تبكين يا فيفى ؟ !

لا جواب سوى الصراخ . صراخ يصل عنان السماء . ثم انحلت عقدة لسانها واندفعت صائحة :

أنت تكذبين علىّ يا ماما .. بابا لن يعود إلا حين يترك مى زكى دارنا ... أنت بعثته إلى الاسكندرية لكى تحضرى مى زكى هنا ... لا أريد أن يمكث معنا .. لا أريد أن يمكث معنا ... لماذا يعيش فى دارنا بدل بابا ؟ أنا لا أحبه ، لا أحبه .. بابا أحسن منه . بابا أحسن منه يا ماما ..

انسللت إلى غرفتى فى صمت وأنا أشعر بقبضة قوية تعصر قلبى . وتهالكت على المقعد ووضعت رأسى بين كفى وأغمضت عينىّ مفكراً ، وقبل أن ألجأ إلى الفراش كانت حقائبى معدة للرحيل

وقفت الأم فى الصباح التالى فى ركن من ساحة الدار ترقب الحمال فى وجوم وهو يروح ويغدو حاملاً متاعى . واختفت فريدة وراءها تختلس إلى النظرات فى ابتهاج . وتمّ كل شىء فأقبلت عليهما مودعاً وابتسامة باهتة ترفرف على ثغرى شددت على يد الأم فى حرارة فاستبقت كفى بين كفّيها وحدّقت فى وجهى بعينين تحيرّت فيهما الدموع . ولم تفه بكلمة واحدة . وقبل أن أستدير موليًا الأدبار رنوت إلى فريدة بنظرات تجمعت فيها عواطف الحب والحزن والأسف ، فابتسمت فى سرور وتشفٍّ ،

وهبطت السلم متمهلاً ثم توقفت حين سمعت فريدة تسأل أمها فى فرح : ماما .. متى يعود بابا ؟!

وواصلت هبوطى ثانية وانـانى يجمجم فى أسىً : قريباً إن شاء الله يا فيفى !

(القاهرة) شاكر خصباك

مطبعة الرسالة